الآيات المتضمنة لخطابَ النبي صلى اللّه عليه وسلم بـ(اصبر) و(اصطبر)

دراسة بلاغية

(*)
د.عمار غانم محمد المولى

ملخص البحث

إن بحثي الموسوم بـ(الآيات المتضمنة لـ(اصبر) و(اصطبر) في حق النبي صلى الله عليه وسلم دراسة بلاغية) يتناول التحليل البلاغي والجماليات الفنية للآيات المتضمنة لـ(اصبر) و(اصطبر) في حق النبي صلى الله عليه وسلم بمنهجية تكاملية حية تبتعد عن عرض الفنون البلاغية بصورة جامدة أو مجزأة، وبينت الدراسة أيضاً الكيفية الأسلوبية لاشتغالها على تحقيق هدف التثبيت والتطمين والتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أمام أمواج من المحن والمآسي والصدود التي عاشها.

وقد اعتمد البحث ترتيب الآيات التي يتم تحليلها حسب ترتيب وجودها في المصحف دون ترتيب نزولها، ومع ذلك أثبت البحث جدولاً للآيات حسب ترتيب نزولها.

ومن أهم المصادر التي استقى منها البحث مادته تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ،والتحرير والتنوير لابن عاشور وغيرهما من التفاسير ، وقد تَشكَّل البحث من مبحثين تناول المبحث الأول: الرؤية التمهيدية حول الصبر ومستوياته والتعريف بأهم الأساليب البلاغية المستعملة فيه ، وتناول المبحث الثاني: الرؤية البلاغية التحليلية التفصيلية ثم أتبعتهما بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

(*) مدرس / ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية.

Abtstract

My research, which is characterized by (the verses that contain the (patience) and (Effect of patience) in the right of the Prophet peace be upon him a rhetorical study) deals with the rhetorical analysis and the technical aesthetics of the verses contained (to be patient) and (Effect of patience) in the right of the Prophet peace be upon him methodology integrative live And the study also showed how stylistic to work to achieve the goal of installation and reassurance and entertainment of the Prophet peace be upon him in front of waves of misfortunes and tragedies that he lived. The research depended on the order of the verses which are analyzed according to their order of existence in the Qur'an without the order of their descent. However, the research proved a table of verses in descending order. Among the most important sources from which the research is derived is the interpretation of the keys of the unseen to the Razi ALFAKIR, the editing and enlightenment of Ibn Ashour and other interpretations. The research consists of two sections dealing with the first topic: the preliminary vision about patience and its levels and the definition of the most important rhetorical methods used in it. And followed them with a conclusion that included the most important result.

المقدمة

الحمد لله الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسل رحمة للعالمين وهادياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ،فصبر على الأذى والشدائد صبراً جميلاً ،وبعد:

فإن بحثي الموسوم بـ(الآيات المتضمنة لـ(اصبر) و(اصطبر) في حق النبي صلى الله عليه وسلم دراسة بلاغية) يتناول التحليل البلاغي والجماليات الفنية للآيات المتضمنة لـ(اصبر) و(اصطبر) في حق النبي صلى الله عليه وسلم بمنهجية تكاملية حية تبتعد عن عرض الفنون البلاغية بصورة جامدة أو مجزأة وكأنها مرادة لذاتها بل جاءت بشكل يبيِّن أهداف الأساليب البلاغية ودلالاتها الثانية في إطار لوحة النص ونظمه ، وذلك أن نبض حياة الأساليب البلاغية إنما ينبع من روح النص ونسيجه المتفاعل ، وبينت الدراسة أيضاً الكيفية الأسلوبية لاشتغالها على تحقيق هدف التثبيت والتطمين والتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أمام أمواج من المحن والمآسي والصدود التي عاشها ، وهو المبعوث لإنقاذ العالم من الضلال والظلم والظلام ، وفي مقدمة ذلك أهل مكة مدينته التي نشأ فيها وقومه وعشيرته.

ومن هنا كانت الفائدة المرجوة من هذا البحث وهي بيان الجمال الأسلوبي المنسجم مع مقتضى الحال الذي حوَّل العبارة القرآنية إلى منجم من الأسرار والإشارات يستلهم منها النبي صلى الله عليه وسلم يقيناً وتوكلاً وعزيمة، وكذلك كل مؤمن مصلح تبعاً.

وقد واجه البحث إشكالية تبني خطة تلملم أطراف الموضوع دون تكرار في التحليل نتيجة تداخل أسلوبي التكرار، وحسن الانتهاء في كل الآيات التي كانت موضع الدراسة ، فإذا جعل البحث لكل أسلوب منها مبحثا سيقع البحث في التكرار الممل ، ولذلك ذهب البحث إلى الخطة الحالية تجنباً لذلك،،فقد اعتمد البحث – خروجاً من الإعادة المملة وتحقيقاً للتوسع في التحليل– خطةً تجعل المبحث التحليلي التفصيلي منفصلاً عن كلا الأسلوبين اللذين جُعِلا في المبحث

الأول ، وقد اعتمد البحث أيضاً ترتيب الآيات التي يتم تحليلها حسب ترتيب وجودها في المصحف دون ترتيب نزولها، لأنه صورة الخطاب النهائية الكاملة التي أراد الله تعالى تأثيرها في المتلقي إلى يوم القيامة ،ومع ذلك أثبت البحث جدولاً للآيات حسب ترتيب نزولها بياناً للتفاعل الزمني للصبر مع نفسية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ،وتصاعد الأحداث والتحديات المحيطة به في مكة.

ومن أهم المصادر التي استقى منها البحث مادته تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي

والتحرير والتنوير لابن عاشور وغيرهما من التفاسير .

هذا وقد تَشكَّل البحث من مبحثين تناول المبحث الأول: الرؤية التمهيدية حول الصبر ومستوياته والتعريف بأهم الأساليب البلاغية المستعملة فيه ، وتناول المبحث الثاني:

الرؤية البلاغية التحليلية التفصيلية ثم أتبعتهما بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

واللهَ أسألُ أن يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به وأن يغفر مني الخطأ و الزلل ،إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول: رؤية تمهيدية في مستويات الصبر وأساليبه الرئيسة في الآيات موضع الدراسة:

أولا- الصبر ومستوياته:

أ-الصبر في المستوى اللغوي:

هو أعلى درجات التضييق في الحبس والإمساك يقال صبرت فلاناً أي وضعته في موقف لا مخرج له منه،ومنه حبس الإنسان نَفسه عما لا يريد وحفاظه على تماسكها حتى لا تنهار ضعفا أمام التحديات والاضطلاع بالتكاليف والمهام أو أمام الجزع الذي يتمثل بمَا يلحق المُصَاب من المضض والغَم[١]،وخلاصة الأمر أن الصبر في اللغة:((عبارة عن احتمال النفس أمراً لا يلائمها إما لأن مآله ملائم ، أو لأن عليه جزاء عظيماً فأشبه ما مآله ملائم ، أو لعدم القدرة على الانتقال عنه إلى غيره مع تجنب الجزع والضجر ، فالصبر احتمال وثبات على ما لا يلائم ، وأقل أنواعه ما كان عن عدم المقدرة)) [٢].

ب- الصبر في المستوى الشرعي:

هو((ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة))[٣]،فهو يمثل عنصر الثبات على الحق،ولذلك كان((أصل التدين والإيمان من ضروب الصبر فإن فيه مخالفة النفس هواها ومألوفها في التصديق بما هو مغيب عن الحس الذي اعتادته ، وبوجوب طاعتها واحداً من جنسها لا تراه يفوقها في الخلقة وفي مخالفة عادة آبائها وأقوامها من الديانات السابقة ، فإذا صار الصبر خلقاً لصاحبه هون عليه مخالفة ذلك كله لأجل الحق والبرهان فظهر وجه الأمر بالاستعانة على

الإيمان وما يتفرع عنه بالصبر فإنه خلق يفتح أبواب النفوس لقبول ما أمروا به من ذلك))[٤]،وفضلاً عن ذلك فـ((معظم الفضائل ملاكها الصبر إذ الفضائل تنبعث عن مكارم الخلال ، والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة وكبح زمام النفس عن الإسامة في شهواتها بإرجاع القوتين الشهوية والغضبية عما لا يفيد كمالاً أو عما يورث نقصاناً فكان الصبر ملاك الفضائل فما التحلم والتكرم والتعلم والتقوى والشجاعة والعدل والعمل في الأرض ونحوها إلا من ضروب الصبر))[٥]

ج-الصبر في مستوى العرض القرآني:

إذا نظرنا إلى لفظ الصبر نجد أنه قد غطى مساحة واسعة في القرآن الكريم ،إذ جاء التصريح بجذر صبر ومشتقاته- فضلاً عما تضمن معناه وهو أكثر بكثير- في سبعة وتسعين موضعاً، ففي الفترة المكية جاء بأربعة وسبعين موضعاً وفي الفترة المدنية في ثلاثة وعشرين موضعاً أي بما يوازي أقل من ثلث عدده في الفترة المكية، وذلك لشدة الحاجة إليه في بداية الدعوة الإسلامية التي كانت غضة طرية في أوائلها قبل أن يشتد عودها في المدينة المنورة ،وذلك واضح لما له من دور مركزي وثقل جوهري في الوصول للأهداف القرآنية السامية

بهداية البشرية وتحقيق سموها بأفضل أسلوب قائم على الإقناع النفسي والعقلي المتدرج ، فالصبر سلوك نفسي إيجابي دفاعي في خطة التغيير وليس خلقاً منفصلاً عن مشروع الإعداد الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم و لجيل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم المقدر له تغيير مسار التاريخ نحو السمو بالإنسان وتحقيق أعظم الإنجازات البشرية الحضارية على الإطلاق عبر إتباع تعليمات الوحي الكريم ، كما أنه ليس خلقاً تخديريا ًسلبيا يقتضي الانسحاب و الانزواء عن تحقيق معادلة النصر والنجاح وأسبابها في التحديات التي واجهت المصطفى صلى الله عليه وسلم في دعوته دعوة الحق والنور والتقدم الراقي والازدهار الحقيقي من أهل الطغيان والظلم والخداع والجهل والتخلف والتجبر على الإنسانية، بل كان الصبر ينبوعاً للإيمان

القلبي الراسخ بمبادىء الحق المنير المتفاعل مع التقوى العملية التي تشكل الخير أجمع والمطلوبة في مجالات الحياة كافة ومواجهة تكاليف خلاص البشرية من قيودها ولذلك وضع في إطار العفو عن المسيء بل والإحسان إليه أيضاًكما في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾(فصلت/٣٤)،ومن هنا وضع الصبر موضع الإيمان – إشارةً للعلاقة الوثيقة بين الصبر والإيمان– في قوله تعالى :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ ﴾(هود/١١)،إذ أن معهود الأسلوب القرآني أن يأتي بقوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾،وفي هذا الإطار أيضاً جاء الصبر مكررا ًمقترناً بالتقوى ومقدما عليها في مواقف اقتضت هذا التقديم من كيد الأعداء ومواقع الحروب معهم والابتلاء بالمال والنفس والأذى الكلامي الجارح للنفوس في كل من قوله تعالى:﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ ﴾(آل عمران/١٢٠)، وقوله تعالى:﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ ﴾(آل عمران /١٨٦)، وإن كان الصبر من التقوى أيضاًولكنه من أعظم وسائلها ،في حين قدمت التقوى على الصبر باعتبارها من أعظم بواعثه في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام لأخوته الذين ظلموه:﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾(يوسف/٩٠) حيث ((أراد يوسف عليه السلام تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى ، وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضاً بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهما عليهم))[٦]، فكانت قلة التقوى باعثاً على معصية

الحسد التي أوهنت صبرهم وأدت لاقتحام الجرم المشين.

ويعتني التوجيه القرآني ببيان أساليب شحذ الصبر وإدامته وصيانته عن الخَوَر عبر ربطه بالله تعالى الذي بيده مقاليد الأموروالميقين بموعوده في قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾(النحل/٤٢)،وفي قوله تعالى:﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(السجدة/٢٤) ، ويصله أيضاًبرمز العبادة الصلاة بفرائضها ونوافلها في كل من قوله تعالى:(اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)(البقرة/٤٥)،وَذلك((لأن الصلاة شكر والشكر يذكر بالنعمة فيبعث على امتثال المنعم على أن في الصلاة صبراً من جهات في مخالفة حال المرء المعتادة ولزومه حالة في وقت معين لا يسوغ له التخلف عنها ولا الخروج منها على أن في الصلاة سراً إلاهياً لعله ناشىء عن تجلي الرضوان الرباني على المصلي فلذلك نجد للصلاة سراً عظيماً في تجلية الأحزان وكشف غم النفس)) [٧]،ويصله أيضاً بالآخرة وجمال نعيمها الزاخر في قوله تعالى:﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾(الزمر/١٠) ،ولتمتين الروح الجماعية وتنميتها عبر التواصي على المطاولة والثبات نصيب من ذلك أيضاً كما في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾(البلد/١٧)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (آل عمران /٢٠٠) .

وقد اعتمد الصبرمن حيث شكل العرض بصورة إجمالية على الأسلوب الواضح المباشر ولكنه صرَّف فيه القول ، فجاءمبنياً على طريقة القصة أو الخبر أوالإنشاء المبني على الأمر بصيغة افعل ،وذلك أن لمفردة الصبر بحد ذاتها منالإيحاء الدال على الحكمة والثبات والتحدي والأمل فضلاً عن ظلال تجربة الإنسان نفسه ما يغني عن العرض البياني التصويري

المتكلف،فجمال الهدف الإيماني والتربوي يكمن أولاً في وضوح إلقائه وتشكيله بؤرة للإشعاع المعنوي المتوسع بالرغم من أن الأسلوب القرآني أساساً((يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية)).[٨]

ثانيا- الأساليب الرئيسية في الآيات موضع الدراسة:

لا بد قبل البدء في التحليل التفصيلي من تجلية حقيقة تمثلت بأن الأساليب على نطاق الآيات موضع الدراسة قد كانت أساسية وساندة، ونظرة إجمالية في التعبير القرآني في هذه الآيات تحدد هذه الأساليب الرئيسية الحائزة على النصيب الأكبر مساحة من توجيه مسار معنى الصبر ،والتي يقع غيرها من الأساليب الساندة في دائرة تأثيرها كالإيجاز و الفصل والوصل والتشبيه وغيرها من الأساليب التي سيتم تناول دورها وجماليتها ضمناً في التحليل خشية الإطالة، وتمثلت تلك الأساليب الرئيسة في الأداء بأسلوبين : الأول:التكرار ،والثاني:حسن الانتهاء.

أولاً:أسلوب التكرار:

التكرار لغة: جاء في لسان العرب: ((الكرّ: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار، وكرَّ رجع، وكرّر الشيء: أعاده مرة أخرى، وكررت عليه الحديث: إذا رددته عليه)) عنه:[٩].

التكرار اصطلاحاً: أسلوب فني تركيبي يعتمد على زيادة اللفظ على المعنى لفائدة عبر((إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين ،يحقق من خلالها فوائد معنوية ((تختلف باختلاف السياق، فقد يكون لتأكيد الإنذار [١٠]فصاعداً)) ،وفضلاً عن [١١]وتأكيد الردع... وقد يكون تبكيتاً... وقد يكون للحث على شكر نعمة من النعم)) ذلك فإن للتكرار وظائف نصية سياقية ونفسية خطابية متنوعة يؤديها في النص الجمالي تحقيقاً لانسجامه وتماسكه وتأثيره الجذاب ، ((إذ إن كل تكرار من هذا النوع قادر على إبراز التسلسل

والتتابع، وان هذا التتابع الشكلي يعين في إثارة التوقع لدى السامع وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثر تحفزاً[١٢]) للتواصل مع النص، والانجذاب نحوه، ولذلك فهو يحقق بعدين الأول ((جمالي[١٣]: لإضفاء سمة ((إيحائية موضوعية تنتج دلالات مختلفة في النص)) ، يقوم المتلقي باستشفافها من بين قرائن السياق، وتواشج الأساليب والمعاني الموجهة نحو المخاطب ،إذ يشكل التكرار((خصائص صوتية لا تتوفر لها مع عدمه من حسن الإيقاع، وتكامل النسق، وتآلف الجمل بعضها ببعض، في وحدة عضوية متآخية[١٤])) ، والثاني معنوي نفسي؛ ذلك أن التكرار يعد من طرق الإقناع عند علماء النفس ، ذلك أنه يعمق المعاني في النفوس و((يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، [١٥] ويكشف عن اهتمام المتكلم بها[١٦])).

وقد أعطى أسلوب التكرار دفقاً متزايداً من المعاني للآيات التي ورد فيها، إذ إنه باعتبار السياق القرآني العام أو الكلي أدى تكرار فعل أمر المخاطب (اصبر) في سبعة عشر موضعاً دوره في ترسيخ هذا الأمر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو المقصود بالخطاب بالدرجة الأولى والمؤمنون من بعده تبعاً، إذ ((إن تكرر أمره عليه السلام بالصبر في الآيات المترددة على كثرتها أدل دليل على الاعتناء به صلى الله عليه وسلم لعظم أمر الصبر وشدة الحاجة إليه في كل مطلب ديني من أخذ أو ترك، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفته: " الصبر ضياء"، ...وأحوج الخلق إلى الصبر الرسل عليهم السلام لعظم ما يلقونه من مكابدة الخلق))[١٧] ،ثم إن أسلوب الخطاب الخاص بصيغة (افعل) بدلاً من صيغة الغائب(وليصبر) إيحاءً أضافياً من القرب والحفاوة ،لأن الخطاب الخاص يشعر بأن للمخاطَب مكانة ومنزلة وأهلية للمسؤولية عند المخاطِب وإلا لما وجه إليه الخطاب، ويشعر أيضاً بأهمية تلك التكاليف والوصايا التي يصبر لأجل أدائها ،وإذا دققنا النظر أكثر نجد أن هذا التكرار قد اكتسب معاني متكثرة عبر

تنوع سياقاته التي اقتضت تعدية متغايرة،إذ نجد أن الفعل(اصبر)مرة يتعدى باللام للدلالة على الرضى بأمره وحكمه والإخلاص له ، ومرة بـ(على)للدلالة على الاستعلاء بالصبر فوق المصاعب والشدائد وبالرغم من آلام النفس،ومرة أخرى بالباء للدلالة على الاستعانة به تعالى على الثبات ويحقق هذا الأمر تواصلاً مشوقاً وتداخلاً بناءً بين النصوص ،وتداعياً معنوياً يشرك الذات القارئة مع النص المقروء في عملية تواصلية ممتعة، وفضلاً عن ذلك فقد أدى تكرار عبارات أو تراكيب أخرى مع أمر المخاطب(اصبر) إلى إعطاءه ألواناً متجددةً من التأثير، وطرد الملل بأبعاد النظر و التركيز نسبياً عن تكرار (اصبر) عبر تكرار عبارات أو تراكيب أخرى أو عبر تكرار ربط الأمر بالصبر بتكرار معنى الأمر بالعبادة صلاةً أو ذكراً أو تسبيحاً أو استغفاراً أو دعاءً ،وقد ورد ذلك في أحد عشرة موضعاً[١٨]، وسيتبين ذلك كله جلياً عبر التحليل ،ونلحظ في هذا الإطار ثلاث مجموعات ، تمثلت الأولى بكل من قوله تعالى:

١- ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾ ((يونس/١٠٩)

٢-﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩ ﴾(الطور/٤٨).

٣-﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٌ ٤٨ ﴾(القلم /٤٨).

٤- ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ ﴾(الإنسان/٢٤).

إذ تتكرر شبه الجملة (لحكم ربك) ثلاث مرات لتشكل مع الأمر (اصبر)مركزَ انطلاق في السياق الذي ترد فيه ، في حين غاير الأسلوب القرآني في طريقة عرض هذه الجملة في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾(يونس / ١٠٩) لمقتضيات بلاغية ستذكر لاحقاً.

وتمثلت المجموعة الثانية بتكرار شبه الجملة(على ما يقولون) في كل من قوله تعالى:

١-﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ ﴾(طه/١٣٠).

٢-﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ ﴾(ق/٣٩)

٣-﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾(المزمل /١٠)

وتمثلت المجموعة الثالثة بتكرار عبارة(إن وعد الله حق) في كل من قوله تعالى:

١-﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾(الروم/٦٠).

٢-﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ ﴾ (غافر/٥٥).

٣-﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧ ﴾(غافر/٧٧).

ويلحق بما مرَّ تكرار العبادة في قوله تعالى:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾(مريم/٦٥)، فقد أفاد اقتران الأمر بالصبر بالأمر بالعبادة التوكيد.

أما باعتبار النظر إلى التكرار في نطاق السياق الخاص سواء كان سورة أو في ضمن المقطع نجد في النمط الأول تكرار الأمر بالصبر في سورة هود

١- ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩ ﴾(هود /٤٩).

٢- ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥ ﴾(هود/١١٥).

وتكراره أيضاً في سورة غافر في كل من قوله تعالى:

١-﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ ﴾(غافر/٥٥).

٢-﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧ ﴾(غافر/٧٧).

أما على إطار المقطع فنجد ذلك في كل من قوله تعالى:

١-﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ ﴾(النحل/١٢٦-١٢٧).

٢-﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ (طه/١٣٠-١٣٢).

٣-﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ (الأحقاف/٣٥).

٤-﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ ﴾(المعارج /٥).

ثانياً-أسلوب حسن الانتهاء :

الانتهاء لغة: بلوغ غاية الشيء، وآخره[١٩].

حسن الانتهاء اصطلاحاً: هو أسلوب فني بديعي محسن للمعنى يعتمد على جعل آخر ما يقرع السمع من الكلام، مؤذناً بانتهائه ومسك ختامه حتى لا يبقى للنفس تشوق إلى ما بعده، مركزاً لمقصد الكلام السابق له ومفصحاً عن محوره الذي دار حوله في جمل رائعة، وتراكيب أخاذة، ترسم المعاني وتزرعها في دواخل النفوس وأعماق الذاكرة ولمعات الفكر[٢٠].

وقد شكّل هذا الأسلوب دوراً بارزاً في الأداء،إذ جاء على نوعين:الأول نهاية مقطع والثاني ختام سورة، إذ ورد الأول على ثلاثة أنماط: الأول:نهاية مقطع ورد في بدايات السورة ، وذلك في أربعة مواضع، في كل من السور الآتية:

(ص/١٧)،(المعارج/٥)،(المزمل/١٠)،و(المدثر/٧) ،والثاني :نهاية مقطع ورد في أواسط السورة وذلك ورد في ثلاثة مواضع، في كل من السور الآتية: (هود/٤٩)،(الكهف /٢٨)،(غافر/٥٥)، والثالث : نهاية مقطع ورد قبل ختام السورة،وذلك في ثلاثة مواضع في كل من السور الآتية:

(هود/١١٥)،(مريم /٦٥)،(غافر/٧٧) ، أما النوع الثاني المتمثل بختام السورة، فقد ورد في تسعة مواضع ،في كل من السور الآتية:

(يونس/١٠٩)،(النحل/١٢٧)،(طه/١٣٠)،(الروم/٦٠)،(الأحقاف/٣٥)،(ق/٣٩)،(الطور /٤٨)،(القلم /٤٨)،(الإنسان/٢٤) .

المبحث الثاني: الرؤية التحليلية التفصيلية:

ولنبدأ ببيان عناصر الجمال البلاغي والانسجام الأسلوبي عبر التحليل التفصيلي لكل من الآيات الآتية حسب ترتيب ورودها في المصحف:

١- ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾(يونس/١٠٩).

تشكّل هذه الآية الكريمة الخاتمة للمقطع الأخير من سورة يونس –والذي يبدأ من قوله تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي ﴾(يونس/من ١٠٤)–إيجازاً جامعاً لكل ما دار في السورة من موضوعات وأغراض، فالحق كله ينبني على إتباع الوحي والتسليم به، والصبر حتى يحكم الله تعالى ،فيأذن باندحار الباطل وانتصار الحق،ومن الناحية الأسلوبية نجد أن عبارة: ﴿ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ ﴾عطفت على قوله تعالى:﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾ بالواو دون الفاء كما هو الحال في آيات أخرى*، وذلك أن بلاغة القرآن المدهشة تضع كلاً في موضعه

الأنسب بحسب المعنى الذي يريد السياق القرآني إبرازه، فإذا كان الهدف بيان ترتيب وتعقيب بعضه على بعض أو تفريع و تسبب بعضه عن بعض جيء بالفاء التي تظهر تعلق الآية بما قبلها تعلقاً شديداً ، وإذا كان الهدف الجمع المطلق بين معاني العبارات ، ولم يكن من أهداف الآية وسياقها بيان الترتيب والتعقيب بين المعاني وإنما بيان أمور أخرى والتركيز عليها، فيؤتى بالواو كي تبرز كون الآية ليس لها كبير

،فالصبر في الآية الكريمة لم يكن مترتباً [٢١]تعلق بما قبلها مبني على الترتيب والتعقيب على الاتباع حتى تأتي الفاء بل المراد أن يقترن كل من الاتباع والصبر ويجمع بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله عز وجل ويبقى جامعاً بينهما ﴿ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾.

ومن ناحية أخرى عند النظر في التركيب الصوتي للفعل (اصبر) نجد أنه متناغم مع معناه، وذلك أنه يوحي بجرسه إلى الحزم والحسم ،فالهمزة والباء حرفا شدة وجهر عند تلفظهما يتم إشباع الاعتماد في النطق بمنع النّفس أن يجري معهما حتى ينقضي الاعتماد عليهما ويجري ، فانتقال الصوت من الهمزة التي توحي بالقطع إلى(الصاد) الذي هو حرف صفير [٢٢]الصوت ينسجم مع معالجة النفس والامتناع عن إظهار الجزع [٢٣]وهمس ورخاوة يجري الصوت معها والضجر ،فالانتقال ثانية إلى القطع بشكل أكبر عبر شدة صوت الباء والراء،والراء –فضلاً عن ، وبعد هذا القطع والحزم في (اصبر) [٢٤]ذلك–حرف تكرير ،فيكون الإسكان فيه أقوى من غيره يأتي شعور التفويض والراحة وفضفضة الشكوى إلى الله تعالى والرضا بقضائه عبر (حتى) واسم بما يوحي إلى أن [٢٥] الجلالة (الله) لما فيهما من مد وانطلاق ولما في حرف الحلق (الهاء) يرمي الإنسان حمل همومه التي تتعب دواخل نفسه وقلبه على رعاية الله.

ثم إننا نجد أيضاً أسراراً بلاغيةً لطيفةً وراء انزياح الأسلوب القرآني عن تكرار عبارة(اصبر لحكم ربك) التي وردت في كل من(الطور/٤٨)،(القلم/٤٨) ،(الإنسان/٢٤) بل استعمل الأسلوب القرآني(حتى الناصبة مع الفعل المضارع) بدلاً من (اللام الجارة مع الاسم) واسمه تعالى (الله) بدلاً من اسمه تعالى (رب)،ذلك أن هذه الآية جاءت في نهاية سورة يونس التي كان أحد أهم محاورها مسألة مشاق الدعوة وسبل الهداية كما أنها في سياقها الخاص سبقت بقوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾،فمقام الدعوة وحب هداية الخلق يختلف عن مقام تلقي المصيبة بالرضى بقضاء الله تعالى وقدره في الآيات السابقة ،ولذلك جيء بـ(حتى) التي ، وجيء بصيغة المضارع (يحكم) المفيدة للتجدد [٢٦]تفيد التدرج إلى أن تحصل الغاية المرجوة إشارةً إلى أن هداية الخلق تحتاج مطاولة ومتابعة خطوة بخطوة ولا تأتي دفعة واحدة [٢٧]والحدوث ، فهذه هي سنة الكون، وجيء باسم الجلالة (الله)،لأنه يدل على جلال الله تعالى وعظمته المقتضية لكونه المعبود الحق الذي بيده هداية الخلق دون اسمه تعالى (الرب) الدال على الخلق إشارة إلى أن هداية الخلق إليه دون غيره، ومن هنا كان الصبر هنا خاص [٢٨]والإيجاد و والإمداد بمعنى ((و اصبر أي على معاندة الذين لم يؤمنوا بقرينة الغاية بقوله : (حتى يحكم الله) فإنها ، ثم زاد العرض القرآني في عمق أسلوبه في [٢٩] غاية لهذا الصبر الخاص لا لمطلق الصبر)) تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وتسليته ، فـ((جملة : وهو خير الحاكمين ثناء وتذييل لما فيه من العمُوم ، أي وهو خير الحاكمين بين كل خصمين في هذه القضية وفي غيرها ، فالتعريف في (الحاكمين) للاستغراق بقرينة التذييل ، و (خير) تفضيل ، أصله أخير فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال . والأخيرية من الحاكمين أخيرية وفَاء الإنصاف في إعطاء الحقوق . وهي هنا كناية عن معاقبة الظالم ، لأن الأمر بالصبر مشعر بأن المأمور به معتدًى عليه ، ففي الإخبار بأن الله

خير الحاكمين إيماء بأن الله ناصر رسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين على الذين كذبوا ، فضلاً عن كون هذا التذييل جاء((مسايراً [٣٠] وعاندوا . وهذا كلام جامع فيه براعة المقطع)) للسياق، ومقبولاً في النفس، وقادراً على الإثارة والتأثير، بتحريك العقل، ومس الوجدان، وإثارة في تشكيل إيقاعي منسجم مع سياقه.[٣١]النفس والمخيلة، لتتدبر وتتفاعل وتتجاوب بعمق)).

٢-﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾(النحل/١٢٥-١٢٨).

يتكرر ذكر الصبر في خواتيم سورة النحل في سياق بيان كيفية الإحسان في أسلوب الدعوة وأسلوب العقاب ،لأن الهدف هو إصلاح الناس والارتقاء بهم لا التكبر عليهم أو الانتقام الأعمى منهم،فـ((مع تقرير قاعدة القصاص بالمثل، فإن القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصبر، حين يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ووقف العدوان، في الحالات التي قد يكون العفو فيها والصبر أعمق أثراً، وأكثر فائدة للدعوة.فأشخاصهم لا وزن لها إذا كانت مصلحة الدعوة تؤثر العفو والصبر، فأما إذا كان العفو والصبر يهينان دعوة الله ويرخصانها، فالقاعدة الأولى هي الأولى ،ولأن الصبر يحتاج إلى مقاومة للانفعال، وضبط للعواطف، وكبت للفطرة، فإن القرآن يصله بالله ، وقد تحقق الانسجام والترتيب المقصود على المستوى المعنوي واللفظي أيما [٣٢] ويزين عقباه)) تحقق في عرض هذه الآيات، إذ ابتدأت ببيان الدعوة المبنية على الحكمة والحجة والموعظة ومخاطبة النفس وتحفيزها نحو الحق والجدال بالتي هي أحسن عند مواجهة الجدال المستهزئ أو المتعنت، فإن لم تتم الاستجابة و كان الظلم والتعدي يكون العلاج بالعقوبة بالعدل والمثل

والأفضل العفو عند المقدرة، لأن الإحسان يدفع القلوب لواحة الحق ، ومن هنا فقوله تعالى:﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾((عطف على جملة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة) (سورة النحل : ١٢٥) ، أي إن كان المقام مقام الدعوة فلتكن دعوتك إيّاهم كما وصفنا ، وإن كنتم أيها المؤمنون معاقبين لمشركين على ما نالكم من أذاهم فعاقبوهم بالعدل لا بِتجاوُز حدّ ما لقيتم منهم ،فهذه الآية متّصلة بما قبلها أتم اتّصال ، وحسبك وجود العاطف فيها ، وهذا تدرّج في رتب المعاملة من معاملة الذين يدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون ثم إلى معاملة الذين يجازون على أفعالهم ، .[٣٣]وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب الكلام)).

وقد نسب ابن عاشور رحمه الله تعالى لَابْنِ عَطِيَّةَ(ت: ٥٤٢هـ) وَفَخْرِ الدِّينِ الرازي(ت:٦٠٦هـ) ،وفي [٣٤]قولهما بأن هذه الآية مكية ، وَجعل ذلك إحدى حججه الداعمة لكَوْنُ هَذِهِ الْآيَةِ مَكِّيَّة حقيقة الأمر ،فإن ما ذكره ابن عاشور منسجم مع كلام الرازي وهو كالأصل له ، أما كلام ابن عطية فقد كان عن مكية آية (ادع إلى سبيل ربك) لا آية (ولئن صبرتم) وما بعدها ،إذ إنه ذكر قول الجمهور الذي أطبقوا عليه في أن آية (ولئن صبرتم)وما بعدها مدنية ثم ذكر أيضاً قول النحاس بأنها مكية متطرقاً إلى حجج الطرفين والسياق منسجم مع كون سورة النحل ليست مكية كلها –كما هي عادة أسلوب القرآن المعجز– ،ذلك أن الآيات الثلاث الأخيرة من السورة مدنية ،استناداً لحديث صرح فيه بأنها نزلت بعد توعد النبي صلى [٣٥]حسبما اختار كثير من المفسرين الله عليه وسلم المشركين لتمثيلهم بحمزة وقتلى الصحابة بأنه إن ظفر بهم ليمثلن بسبعين منهم ،وَمع ما ذكر فإن ابن عاشوردعم رأيه بحجة أخرى لها حظ قوي من النظر تمثلت بتضعيف [٣٦] الحديث وتوجيهه إن صح، بأنه((ولعلّه اشتبه على الرّواة تذكر النبي الآيةَ حين توعّد المشركين .[٣٧] بأن يمثّل بسبعين منهم إن أظفره الله بهم))

وقد أشارت الآية الكريمة من طرف خفي إلى بشرى عظيمة للمؤمنين، فـ((في هذه الآية إيماء إلى أن الله يُظهر المسلمين على المشركين ويجعلهم في قبضتهم ، فلعلّ بعض الذين فتنهم المشركون يبعثه الحَنق على الإفراط في العقاب ، فهي ناظرة إلى قوله :﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾(سورة النحل : ١١٠) ، ورغّبهم في الصبر على الأذى ، أي بالإعراض عن أذى المشركين وبالعفو عنه ، لأنه أجلب لقلوب الأعداء ، فوصف ،وقددل استعمال حرف الشرط (إن) الدال على [٣٨] بأنه خير ، أي خير من الأخذ بالعقوبة)) في قوله تعالى:(إن عاقبتم) إلى الحث على الصبر باستبعاد [٣٩]التقليل أو على سبيل الفرض وتقليل احتمال العقاب والرد بالمثل والخطاب للمؤمنين ويدخل النبي صلى الله عليه وسلم ضمناً، في قوله تعالى:﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾.

وفي قوله تعالى:﴿ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ نجد الأسلوب القرآني((أظهر في موضع الإضمار ،إذ إن الأصل أن يقول بدلاً من الصابرين ((لكم إلا أنه عدل عنه [٤٠]تعميماً وتعليقاً بالوصف)) إلى ما في النظم الجليل مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر، وفيه إرشاد إلى أنه إن صبرتم فهو شيمتكم المعروفة ،فلا تتركوها إذا في هذه القضية أو وصفا لهم بصفة تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة فهو على حد من قتل قتيلا وهو الظاهر من اللفظ، وفيه ترغيب في الصبر

،وفي قوله تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ نجد الأسلوب القرآني((أمر نبيه [٤١]بالغ)) صلى اللهعليه وسلم صريحاً بما ندب إليه غيره تعريضاً من الصبر،لأنه عليه الصلاة والسلام أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووثوقه به فقال واصبر وما صبرك الا ، إذ إن التعبير القرآني التفت من خطاب الجمع إلى خطاب المفرد و((عزم على رسول [٤٢] بالله)) ،لأنه((لما كان التقدير: فاصبروا، عطف عليه إفراداً له [٤٣]الله صلى الله عليه وسلم في الصبر)) صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالأمر، إجلالاً له وتسلية ...، وتنويهاً بعظم مقام الصبر زيادة في

،فقد ((خص النبي (صلى الله عليه وسلم [٤٤] حث الأمة، لأن أمر الرئيس أدعى لامتثال أتباعه))) بالأمر بالصبر للإشارة إلى أن مقامه أعلى ، فهو بالتزام الصبر أولى ، أخذاً بالعزيمة بعد أن رخّص لهم في المعاقبة .وجملة ﴿ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾معترضة بين المتعاطفات ، أي وما يحصل صبرك إلا بتوفيق الله إيّاك . وفي هذا إشارة إلى أن صبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عظيم لقي من أذى المشركين أشدّ مما لقيه عموم المسلمين . فصبره ليس كالمعتاد ، لذلك كان حصوله بإعانة من الله [٤٥])).

ثم إنه تعالى أرشد النبي صلى الله عليه وسلم و((حذره من الحزن عليهم أن لم يؤمنوا كقوله :﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴾(سورة الشعراء : ٣) .ثم أعقبه بأن لا يضيق صدره من مكرهم ، وهذه أحوال مختلفة تحصل في النفس باختلاف الحوادث المسببة لها ، فإنهم كانوا يعاملون النبي مرة بالأذى علناً ، ومرة بالإعراض عن الاستماع إليه وإظهارِ أنهم يغيظُونه بعدم متابعته ، وآونة بالكيد والمكر له وهو تدبير الأذى في خفاء ، والضَيق... ضيق النفس ، وهو مستعار للجزع والكدر ، كما استعير ضدّه وهو السعة والاتّساع للاحتمال والصبر يقال : فلان ضيق الصدر))[٤٦].

وقد أشار حذف النون من قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ إلى النهي عن أدنى ضيق، لأن مع النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى الذي بيده كل شيء، وفضلاً عن ذلك فإن لسورة الإسراء بعد هذه السورة دوراً في ذلك أيضاً، إذ إنه ((لما كان سبحانه في مقام التبشير، بالمحل الكبير والموطن الخطير، الذي ما حازه قبل نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم بشير ولا نذير، وذلك هو الإسراء إلى الملكوت الأعلى، والمقام الأسمى من السماوات العلى، في حضرات القدس، ومحال الأنس، ووطأ لذلك في سورة النعم بمقامات الكرم إلى أن قارب الوصول

إليه، أوجز في العبارة بحذف حرف مستغنى عنه دلالة عليه فقال: {ولا تك} بحذف النون إشارة إلى ضيق الحالة عن أدنى إطالة[٤٧])).

٣-﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ ﴾﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾(الكهف/٢٧-٢٨).

تأتي هذه الآية في ضمن ذيول الجواب عن مسألة اليهود عن أهل الكهف الذين كانوا قلة تعبيرا عن الميزان الحقيقي الذي لابد أن يعتمد عليه ألا وهو ميزان العقيدة والثبات [٤٨]مطاردة على إتباع الوحي بتلاوته تلاوة علم وعمل بوصفه الملجأ الأوحد من ضلالات الجاهلية ومكائدها بمحاولة حرف مسيرة الدعوة وتبديل مقاييسها ،فضلا عن التمسك بالثلة المؤمنة وترسيخ صلة الإيمان على قاعدة إن أكرمكم عند الله أتقاكم ،ولذلك جاء الخطاب القرآني واضحا صريحا((اصبر نفسك مع هؤلاء صاحبهم وجالسهم وعلمهم ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات. فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها لأنها غالبة ومن يعتنقونها ليقودوا بها الأتباع ومن يعتنقونها ليحققوا بها الأطماع، وليتجروا بها في سوق الدعوات تشترى منهم وتباع! إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغي جاها ولا متاعا ولا انتفاعا، إنما ، وإذا صوبنا النظر نحو سبب نزول الآية الذي يمثل السياق [٤٩]تبتغي وجهه وترجو رضاه)) الحالي لتجلية مراميها أكثر نجد أن سبب نزولها((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك، وقال بعضهم: بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالإسلام، فرأوه جالسا مع خباب وصهيب وبلال، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا، قالوا: فهمّ

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عليه: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ثم كان يقوم إذا أرادوا القيام، ويتركهم قعودا، فأنزل الله عليه﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾الآيَةَ)) [٥٠]،وعلى هذا فهذه الآية اقتضى سياقها أن تكون أشد في رفض طلب هؤلاء من الآية فيسورة الأنعام المارة الذكر((ويظهر من تكرر الإشارة إلى هذا الموقف أنه كان يتكرر، فكانت حكمة التنزيل تقتضي تكرار التعليم تثبيتا للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان شديد الحرص على جلب الزعماء إليه، والذي كان حرصه يجعله يفكر على ما تلهمه الآيات...في مسايرة الزعماء في بعض ما يقترحونه. ثم تنويها بالمؤمنين وتقريرا لرفعة شأنهم عند الله ولكون فضيلة الإيمان والعمل الصالح هي أعظم الفضائل وأن الذين يتحلون بها هم عند الله أفضل وأولى بالرعاية، ويجب أن يكونوا كذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي المجتمع الإسلامي)) [٥١].

وقد التزم النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجيه الرباني أيما التزام ، ذلك ((أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بعض أبياته ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾،فخرج يلتمس، فوجد قوما يذكرون الله، منهم ثائر الرأس، وجافّ الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم، فقال: "الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ لي فِي أُمَّتِي مَنْ أمرني أنْ أصبِرَ نَفْسي مَعَهُ")) [٥٢].

وعند تفحص الأسلوب القرآني في التعبير نجده وجه النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والثبات مع الصحابة الفقراء مالاً والأغنياء بأعظم حقائق الوجود ألا وهو الإيمان والتضحية في سبيله واختار الأسلوب القرآني تعبيراً خاصاً هو((واصبر نفسك ، أي احبسها معهم حبس ملازمة ،وذكر (نفسك)أشبه بالتوكيد من ناحية باعتبار أن [٥٣] . والصبر : الشد بالمكان بحيث لا يفارقه))

الضمير المستتر (أنت) كاف ،ومن ناحية أخرى فإن فيه إشارة إلى أن هذا الاجتهاد بمحاولة الاستجابة لبعض رغبات كبراء الكفار بالتقليل من شأن المؤمنين رغبة بدخولهم في الإسلام فيه ما فيه من التنازل لحظوظ النفس بالاستعجال لأمر هداية القوم الذين أمرهم بيده تعالى وقدره، وجيء بجملة ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾بالجملة الفعلية إشارة لتجدد اتصالهم ،والمقصود بـ((الغداة ... اسم الوقت الذي بين الفجر وطلوع الشمس ، [٥٤] بربهم وصدقهم في ذلك والعَشي : المساء ، والمقصود أنهم يدعون الله دعاءً متخللاً سائر اليوم والليلة ، والدعاء : المناجاة والطلب ، والمراد به ما يشمل الصلوات ،والتعبير عنهم بالموصول للإيماء إلى تعليل الأمر بملازمتهم ، أي لأنهم أحرياء بذلك لأجل إقبالهم على الله فهم الأجدر بالمقارنة ، وقد شكَّل قوله تعالى (ولا تعدو عيناك عنهم) –والذي((أكّد الأمر بمواصلتهم [٥٥] والمصاحبة)) – إيجازاً بديعاً وتصويراً بليغاً لما هو مطلوب منه صلى الله [٥٦] بالنهي عن أقل إعراض عنهم)) عليه وسلم ،إذ إن ((في قوله «ولا تعد عيناك» مجاز عقلي لأنه أسند فعل عدا أي تجاوز إلى العينين ومن حقه أن يسندهما إليه،لأن عدا متعد بنفسه كما تقدم وإنما جنح إلى المجاز،لأنه أبلغ من الحقيقة فكأن عينيه ثابتتان في الرنو إليهم وكأنما أدركتا ما لا تدركان وأحستا بوجوب النظر إلى هؤلاء وصبر النفس ورياضتها على ملازمتهم)). [٥٧].

و((قَوْلُهُ: ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ نُصِبَ في مَوضِعِ الحالِ،يعنِي أَنَّكَ [إِنْ] ،أو بعبارة أخرى ((لا تكن [٥٨]فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِقدامُكَ علَيْه إِلَّا لِرَغْبَتِكفي زِينَة الحياة الدُّنيَا)) إرادة الزينة سبب الإعراض عنهم لأنهم لا زينة لهم من بزة وسمت ،وهذا الكلام تعريض بحماقة سادة المشركين الذين جعلوا همهم وعنايتهم بالأمور الظاهرة وأهملوا الاعتبار بالحقائق والمكارم

النفسية فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والعقول الراجحة والقلوب النيرة وجعلوا همّهم الصور الظاهرة)) [٥٩].

ثم إنه تعالى((لما بالغَ في أَمره بمُجَالَسة الفُقَرَاء من المسلمين بالغَ في النَّهي عن الالتفَات إِلى أَقوَال الأَغنِيَاء والمُتكَبِّرين فقَال: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾))، وفي هذه العبارة الموجزة ((نهي جامع عن ملابسة شيء مما يأمره به المشركون . [٦٠]

والمقصود من النهي تأسيس قاعدة لأعمال الرسول والمسلمين تُجاه رغائب المشركين وتأييس المشركين من نوال شيء مما رغبوه من النبي صلى الله عليه وسلم)) [٦١]، لأنهم لا يبتغون الهداية ولا الوصول إلى الحق بل يريدون تحقيق أهدافاً قذرةً،ولذا جاء النهي قاطعاً((لا تطعهم فيما يطلبون من تمييز بينهم وبين الفقراء، فلو ذكروا الله لطامنوا من كبريائهم، وخففوا من غلوائهم، وخفضوا من تلك الهامات المتشامخة، واستشعروا جلال الله الذي تتساوى في ظله الرؤوس وأحسوا رابطة العقيدة التي يصبح بها الناس إخوة. ولكنهم إنما يتبعون أهواءهم، أهواء الجاهلية، ويحكمون مقاييسها في العباد، فهم وأقوالهم سفه ضائع لا يستحق إلا الإغفال جزاء ما فيه متقدماً على الحق، فيكون الحق منبوذاً به وراء الظهر مفرطاً فيه بالتقصير، فإن ربك سبحانه سينجي أتباعك على ضعفهم منهم كما أنجى أصحاب الكهف، ويزيدك بأن يعليهم عليهم ويدفع الجبابرة في أيديهم لأنهم مقبلون على الله معرضون عما سواه، وغيرهم مقبل على غيره معرض عنه)) [٦٢].

، والمقصود بقوله تعالى:((﴿ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾أي متجاوزاً للحد مسرفاً [٦٣] غفلوا عن ذكر الله.))

٤-﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾(طه/١٣٠-١٣٣).

يؤكد تكرار الأمر بالصبر في خواتيم سورة طه على حتميته في حق سيد المرسلين وخير الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه، ومن هنا أمر بالصبر على ما يقولون والاستعانة بالتسبيح-والذي هو تعبير كنائي عن الصلاة تنبيها على أهمية الذكر والتسبيح -على شتى الاتهامات والأراجيف المتجددة ضده وضد رسالته -كما أشارت إلى ذلك الجملة – حيث لم تدع دعوات الإلحاد والإشراك والظلم [٦٤]الفعلية(يقولون)الدالة على الحدوث والتجدد والبغي سهماً في كنانتها إلا رمته به ،وقد اختزنت العبارة الموجزة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾كل المعاني السابقة ،وإيجاز هذه العبارة بما يتوافر عليهالإيجاز من محافظة على نشاط السامع، وإبعاد الكلام عن الإملال، و تكثيف للمعاني الذي يكسب النفس نشوة، وطرباً باكتساب كثرة من المعاني بألفاظ يسيرة، و توسع في الدلالة الإيحائية بما يدع النفس تتوسع في التصور قد أدى أدواراً نفسيةً رائعةً،وقد اشترك الإيقاع الصوتي [٦٥]والخيال، فالإيجاز بالمواصفات السابقة في تصوير المعنى أيضاً فمد الألف في (على) والمد عند الوقف على(يقولون) ينسجم مع كثرة دعاوى الباطل وتطاولها على الحق، وقد أكد الأسلوب القرآني مرة أخرى على الصلاة عبر أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاصطبار-والذي صيغته (افتعل) وقلبت تاؤه طاءوتدل هذه – على حفظ الصلاة وأدائها في أوقاتها على أحسن ما [٦٦] الصيغة على تكلف الأمر والاهتمام به يكون والدعوة إلى إقامتها،فالصبر والصلاة توأمان أحدهما يزود الآخرويقويه.

وقد سبقت آية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ١٣٠ ﴾بالتهديد والوعيد في قوله تعالى:﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾(طه/١٢٨-١٢٩) ((وفرع على ذلك أمر رسول الله بالصبر على ما يقولون من التكذيب وبالوعيد لتأخير نزوله بهم . والمعنى : فلا تستعجل لهم العذاب واصبر على تكذيبهم ونحوه الشامل له الموصول في قوله:(ما يقولون)،وأمره بأن يقبل على مزاولة تزكية نفسه وتزكية أهله بالصلاة ، والإعراض عما متع الله الكفّار ،ومن حيث الإجمال ، فـ((قوله: ﴿ وَمِنْ ءَانَآئِ [٦٧]برفاهية العيش ، ووعده بأن العاقبة للمتقين)) ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾[طه: ١٣٠] .أي: تسبيحاً دائماً مُتوالياً، كما أن نعم الله عليك متوالية لا تنتهي، فكلُّ حركة من حركاتك نعمة، النوم نعمة، والاستيقاظ نعمة، الأكل نعمة، والشرب نعمة، البصر والسمع، كل حركة من حركات الأحداث نعمة تستحق الحمد، وكل ،((فالتسبيح هنا مستعمل في الصلاة لاشتمالها على تسبيح [٦٨] نعمة من هذه ينطوي تحتها نِعَم)) الله وتنزيهه ،والباء في قوله (بحمد ربك) للملابسة ، وهي ملابسة الفاعل لفعله ، أي سبّحْ حامداً ربّك ، فموقع المجرور موقع الحال ،والأوقات المذكورة هي أوقات الصلوات ، وهي وقت الصبح قبل طلوع الشمس ، ووقتان قبل غروبها وهما الظهر والعصر...ووجه الاهتمام بآناء الليل أن الليل وقت تميل فيه النفوس إلى الدعة فيخشى أن تتساهل في أداء الصلاة فيه...وقوله وأطراف النهار (بالنصب عطف على قوله) قبل طلوع الشمس (، وطرف الشيء منتهاه . قيل : المراد أول النهار وآخره ، وهما وقتا الصبح والمغرب ، فيكون من عطف البعض على الكل للاهتمام ،ثم بيَّن قوله تعالى:(لَعَلَّكَ تَرْضى) الغاية المتحققة من التسبيح إذ ((إن التسبيح بالله [٦٩] بالبعض)) اتصال، والنفس التي تتصل تطمئن وترضى. ترضى وهي في ذلك الجوار الرضي وتطمئن وهي في ذلك الحمى الآمن،فالرضى ثمرة التسبيح والعبادة، وهو وحده جزاء حاضر ينبت من داخل النفس ويترعوع في حنايا القلب)) [٧٠].

٥-﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾((الروم/٦٠)

تأتي هذه الآية في سياق الختام الرائع للسورة الموجز لموضوعاتها والمبين لأهم أغراضها التي دارت حول ضرورة اليقين بنصر الله تعالى وموعوده،وذلك المقطع الخاتم للسورة تمثل بقوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ : فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ٥٨ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾، وفضلاً عن ذلك فإن في هذه الآية رد العجز على الصدر، إذ إن ابتداء السورة كان حول محبة المؤمنين انتصار الروم على الفرس والمشركون كانوا على العكس من ذلك حتى قامروا أبا بكر على ذلك -وهو جائز لأنه في سبيل نصرة الحق -، وذلك قوله تعالى:﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾، ((فهم يبالغون في العداوة والتكذيب حتى أنهم ليخاطرون في وعد الله بنصر الروم على فارس، كأنهم على ثقة وبصيرة من أمرهم في أن ذلك لا يكون، فإذا صدق الله

وعده في ذلك بإظهار عن قريب علموا كذبهم عياناً، وعلموا – إن كان لهم علم – أن الوعد بالساعة لإقامة العدل على الظالم والعود بالفضل على المحسن كذلك يأتي وهم صاغرون، ويحشرون وهم داخرون، {وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون}[الشعراء: ٢٢٧]،فقد انعطف آخرها على أولها عطف الحبيب على الحبيب،واتصل به اتصال القريب بالقريب، والتحم التحام ،وذلك أن((بين تعبير وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ والأمر بالصبر إلى أن يتحقق، ونفس [٧١] النسيب بالنسيب)) التعبير في أوائل السورة لحمة صلة بين بدئها وختامها،ولقد جاء في السورة وعد الله بنصر المؤمنين أيضا حيث يكون في ذلك قرائن على ترابط فصول السورة وانعقادها في جملتها على بشرى المسلمين بالنصر)). [٧٢].

ثم إن للظروف الزمانية والمكانية المحيطة بالرسول صلى الله عليه وسلم دورا في فهم مرامي هذه الآية ،فـ((لعل فيها إرهاصاً بالنصر الذي كان يوشك أن يتمّ للنبي عليه السلام والمسلمين فيما اعتزموا عليه من الهجرة إلى المدينة حيث نزلت هذه السورة في ظروف التهيّؤ لها. ولعلها نزلت في ظروف الاتصال الأول الذي تمّ بين النبي عليه السلام وبعض زعماء الأوس والخزرج، أو الاتصال الثاني الذي آمن فيه عدد كبير منهم ووعدوه فيه بالنصرة والترحيب بهجرته وهجرة أصحابه إلى المدينة، ولعله كان يفكر في التعجيل بالهجرة فثبته الله وصبّره حتى تتكامل الأسباب أو يشرف على هجرة أصحابه قبله)). [٧٣].

وإذا جئنا إلى السياق الخاص السابق لها نجد أن ((الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر تفرع على جملة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ ﴾ (الروم : ٥٨) لتضمنها تأييسه من إيمانهم . وحذف متعلق الأمر بالصبر لدلالة المقام عليه ، أي اصبر على تعنتهم . وجملة) إن وعد الله حق (تعليل للأمر بالصبر وهو تأنيس للنبيصلى الله عليه وسلم بتحقيق وعد الله من الانتقام من المكذبين ومن نصر الرسول عليه الصلاة والسلام ،والحق : مصدر حَقّ يحِقّ بمعنى ثبت ،

،فوعد الله تعالى لا يتخلف لأنه يأتي((مِنَ الذي [٧٤] فالحق : الثابت الذي لا ريب فيه ولا مبالغة)) ،وفضلاً عن ذلك فقد انسجمت دلالة الجملة [٧٥] يملك كُلَّ أسباب الوفاء، ولا يمنعه عنه مانع)) الاسمية الدالة على الثبات وتيقن تحقق الوعد بالنصر في قوله تعالى (إن وعد الله حق) صوتياً مع اختيار كلمة (حق) لما فيها من الإيقاع العميق الشديد للفظة (الحق) المتشكل من حدة –المشددة– المعبر عن قوة الحق [٧٧] مع قوة (القاف) الشديدة [٧٦](الحاء) الخارجة من الحلق وإحكامه وعمقه وثباته في الوجود.

وقد أشار قوله تعالى السابق للآية أيضاً(كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُون) إلى أن إرادة الله تعالى اقتضت إضلال من سعى إلى الضلال ((فهؤلاء الذين لا يعلمون مطموسو القلوب، لا تتفتح بصيرتهم لإدراك آيات الله، متطاولون على أهل العلم والهدى، ومن ثم يستحقون أن يطمس الله على بصيرتهم، وأن يطبع على قلوبهم، لما يعلمه سبحانه عن تلك البصائر وهذه القلوب! ثم يأتي الإيقاع الأخير في السورة بعد تلك الجولات مع المشركين في الكون والتاريخ وفي ذوات أنفسهم وفي أطوار حياتهم...إنه الصبر وسيلة المؤمنين في الطريق الطويل الشائك الذي قد يبدو أحيانا بلا نهاية! والثقة بوعد الله الحق، والثبات بلا قلق ولا زعزعة ولا حيرة ولا شكوك)) [٧٨].

وعند النظر الفاحص في قوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾نجد أن الأسلوب القرآني استعمل الاستخفاف تعبيراً عن لون من ألوان الحرب ضد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم يهدف إلى استثارته فيقع في الاستعجال أو الفتور والانقطاع بالسكوت عن دعوة الكافرين للحق،فإنه لا مناص من((وجوب مُدَاوَمَةِ النَّبِيِّ عليه الصَّلَاة وَالسَّلَام على الدُّعَاءِ إِلى ،واليقين هو [٧٩] الإيمَان فَإِنَّه لو سكت لقال الكافر إِنَّه مُتَقَلِّب الرَّأْي، لا ثَبَات له))

قمةالثبات،لأنه((الإيمان الثابت الذي لا يتزعزع، فيصير عقيدة في القلب لا تطفو إلى العقل لتناقش من جديد[٨٠])).

وتفصيل هذا الأمر أن ((الاستخفاف : مبالغة في جعله خفيفاً فالسين والتاء للتقوية مثلها في نحو : استجاب واستمسك ، وهو ضد الصبر ، والمعنى : لا يحملُنّك على ترك الصبر . والخفة مستعارة لحالة الجزع وظهور آثار الغضب . وهي مثل القلق المستعار من اضطراب الشيء لأن آثار الجزع والغضب تشبه تقلقل الشيء الخفيف ، فالشيء الخفيف يتقلقل بأدنى تحريك ، وفي ضده يستعار الرسوخ والتثاقل . وشاعت هذه الاستعارات حتى ساوت الحقيقة في الاستعمال[٨١]))، وبناء على هذا،فـ((نهي الرسول عن أن يستخفه الذين لا يوقنون نهي عن الخفة التي من شأنها أن تحدث للعاقل إذا رأى عناد من هو يرشده إلى الصلاح ، وذلك مما يستفز غضب الحليم ، فالاستخفاف هنا هو أن يؤثروا في نفسه ضد الصبر ، ويأتي قوله تعالى: (فاستَخَفّ قومَه فأطاعوه) في سورة الزخرف ، فانظره إكمالاً لما هنا . وأسند الاستخفاف إليهم على طريقة المجاز العقلي لأنهم سببه بما يصدر من عنادهم ، والذين لا يوقنون : هم المشركون الذين أجريت عليهم الصفات المتقدمة من الإجرام ، والظلم ، والكفر ، وعدم العلم ؛ فهو إظهار ،وفي هذه الآية عبرة لأصحاب الحق والحقيقة وأي[٨٢]في مقام الإضمار للتصريح بمساويهم)).

عبرة،((فلا بُدَّ أنْ يكونوا من أهل الثبات على المبدأ الذين لا تزعزعهم الشدائد، والدليل على ذلك أنهم يُؤذّوْن ويُضطهدون فيصبرون، وهذه أهم صفة فيمن يُعدُّ لتحمُّل الأمانة.لذلك نقول: إذا رأيتَ منهجاً أو مبدأ يغدق على أصحابه أموالاً، فاعلم أنه مبدأ باطل؛ لأن المبدأ الحق يضحي أهله من أجله بأنفسهم وبأموالهم، يعطونه قبل أنْ يأخذوا منه، لماذا؟ لأن صاحب المبدأ الباطل لن يجد مَنْ يناصره على باطله إلا إذا أغراهم بالمال أولاً واشترى ذممهم،...أما المبدأ الحق فيعلم صاحبه أن الثمن مُؤجَّل للآخرة[٨٣])).

٦-﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ ﴾(ص/١٧).

تُشكِّل هذه الآية نهاية مقطع يستعرض تهجم الكافرين الظالمين على النبي صلى الله عليه وسلم إذ إن السياق القرآني((أعقب حكاية أقوالهم من التكذيب ابتداء من قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ ﴾(ص : ٤) إلى هنا ، بأمرِ الله رسولَه (صلى الله عليه وسلم) بالصبر على أقوالهم إذ كان جميعها أذى : إما صريحاً كما قالوا :﴿ سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ ﴾،وقالوا :﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ ﴾ (ص : ٧) ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ ﴾ (ص : ٦) ، وإمّا ضِمناً وذلك ما في سائر أقوالهم من إنكار ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) والاستهزاء بقولهم :﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦ ﴾ (ص : ١٦) من إثبات أن الإله واحد ، ويشمل ما ، وبذلك يجعل القرآن الصبر حياة للنبي صلى الله [٨٤]يقولونه مما لم يحك في أول هذه السورة)) عليه وسلم ودعوته أمام محاولات الشر التي تريد إماتة الحق في مهده ، وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم-كما أرادها الله تعالى -،((فنرى الصبر كان قوامها، وكان العنصر البارز فيها. ونرى الابتلاء والامتحان كان مادتها وماءها..لكأنما كانت تلك الحياة المختارة- بل إنها لكذلك- صفحات من الابتلاء والصبر معروضة للبشرية، لتسجل كيف تنتصر الروح الإنسانية على الآلام والضرورات وكيف تستعلي على كل ما تعتز به في الأرض وتتجرد من الشهوات والمغريات وتخلص لله وتنجح في امتحانه، وتختاره على كل شيء سواهثم لتقول للبشرية في النهاية: هذا هو الطريق إلى الاستعلاء، وإلى الارتفاع. هذا هو الطريق إلى الله)).[٨٥].

وإذا عدنا- تتميماً لفهم السياق-إلى الآية السابقة في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦ ﴾نجدها تبين نهاية السفاهة في إعراض الكافرين عن دعوة الحق،

ففيها((حكاية حالة استخفافهم بالبعث والجزاء وتكذيبهم ذلك ، وتكذيبهم بوعيد القرآن إياهم فلمّا هدّدهم القرآن بعذاب الله قالوا : ربّنا عجل لنا نصيبنا من العذاب في الدنيا قبل يوم الحساب إظهاراً لعدم اكتراثهم بالوعيد وتكذيبه ، لئلا يظن المسلمون أن استخفافهم بالوعيد لأنهم لا يؤمنون بالبعث فأبانوا لهم أنهم لا يصدّقون النبي (صلى الله عليه وسلم) في كل وعيد حتى الوعيد بعذاب الدنيا الذي يعتقدون أنه في تصرف الله . فالقول هذا قالوه على وجه الاستهزاء وحكي عنهم هنا إظهاراً لرقاعتهم وتصلبهم في الكفر[٨٦]))

وعند النظر في قوله تعالى:﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾نجد أن من اللافت للانتباه أنها المرة الوحيدة التي جاء فيها الفعل(اصبر) مفصولا عما قبله بلا واو أو فاء، وقد فصلت هذه الآية عن الآية السابقة﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾، لأن – والله أعلم- الآية السابقة وما قبلها دلت على شدة صفاقة الكافرين وتبجحهم في غيهم وأذيتهم ، فكأنها استثارت غضب النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأحزانه من إعراضهم، ونبع عن ذلك تساؤله في نفسه عما يفعله معهم ، فجاء الجواب حاسماً﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾، فهذه الآية أشبهت الجواب.

وفي نكتة وصل قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ ﴾بقوله تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ، والقوي منها [٨٧]بالواو ذكرت وجوه متعددة ضعيفة لا تتناسب مع سياق الآيات ما رجحه صاحب ملاك التأويل بـ((أن الله سبحانه لما ذكر حال العتاة من كفار قريش وشنيع مقالهم لنبيه، صلى الله عليه وسلم، من لدن قولهم:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَجِبُوٓاْ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ ﴾(ص: ٤) إلى ختمهم ما ذكر تعالى من سوء مراجعتهم بقولهم استهزاء وتكذيباً:﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦ ﴾(ص: ١٦) أتبع ذلك ملاطفة وتأنيساً لنبيه، صلى الله عليه وسلم، بقوله: (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) (ص: ١٧) ((تذكيراً له بأن الجاري من ذلك إنما هو على ما

، وعلى ذلك ((فكأنه يقول لنبيه، [٨٨] شاءه لهم في أزله وقدره عليهم، فليس خارجاً عن إرادته)) عليه السلام، أصبر على ما يرد منهم وما يقولونه فإنه مرادي منهم في سابق قدري، ولو شئت لهديت قلوبهم وسخرتها لإجابتك، فقد سخرت الجبال مع داود والطير وألنت له الحديد وقلب الآدمي ألين وأقرب:﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾(السجدة: ١٣) فإذا علمت أن قلوبهم بيدي اقلبها ، ومن التوجيهات القوية أيضاً ما رجحه صاحب نظم [٨٩]كيف شئت، فأصبر على ما يقولون)) الدرر– كما سيأتي– وذكره صاحب التحرير والتنوير مختصرا بأنه((إيماء إلى بشارة النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه بعد تكذيب قومه وضيق حاله منهم سيؤول شأنه إلى عزة عظيمة وتأسيس ،فقد أشار الأسلوب القرآني إلى((أن عادته تعالى [٩٠] ملك أمة عظيمة كما آلت حال داود)) الابتلاء للصالحين رفعة لدرجاتهم، فقال تعالى مسلياً ومعزياً ومؤسياً لهذا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن تقدمه من إخوانه الأنبياء والمرسلين، مذكراً له بما قاسوا من الشدائد وما لاقوا من المحن، وحاثاً على العمل بأعمالهم آمراً بالتأني والتؤدة والحلم، ومحذراً من العجلة والتبرم ،ثم إنه تعالى في ذلك((بدأ بأهل الشرف،لأن السياق لشرف القرآن الذي يلزم منه [٩١] والضجر)) شرف صاحبه تعريفاً بأنه لا يلزم من الشرف الراحة في الدنيا، ومنبهاً على أن شرفه محوج عن قرب بكثرة الأتباع إلى الحكم بين ذوي الخصومات والنزاع الذي لا قوام له إلا بالحلم والأناة والصبر، وبدأ من أهل الشرف بمن كان أول أمره مثل أول أمر هذا النبي الكريم في استضعاف قومه له وآخر أمره ملكاً ثابت الأركان مهيب السلطان، ليكون حاله مثلاً له ،فيحصل به تمام ، ومن هنا بين الأسلوب القرآني عظم مكانة داوود عليه السلام فـ((وصفُ داود [٩٢] التسلية)) بـعَبْدَنَا وصفُ تشريف بالإضافة بقرينة المقام ...، و (الأَيْد): القوة والشدة ، مصدر : آدَ يئيد ، إذا اشتدّ وقَوي ، ومنه التأييد التقوية ، قال تعالى : (فآواكم وأيدكم بنصره في سورة الأنفال)،وكان داود قد أعطي قوة نادرة وشجاعة وإقداماً عجيبين وكان يرمي الحجر بالمقلاع فلا

يخطىءُ الرميَّة ، وكان يلوي الحديد ليصنعه سرداً للدروع بأصابعه ، وهذه القوة محمودة لأنه استعملها في نصر دين التوحيد)).[٩٣]

ثم إن في الالتفات من خطاب المفرد(اصبر) و(اذكر) إلى المتكلم المعظم نفسه في (عبدنا) ((صرف الكلام إلى مقام العظمة لاقتضاء ما يذكر من التسخير لذلك)) .[٩٤]

وفي قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ ((تعليل للأمر بذكره إيماء إلى أن الأمر لقصد الاقتداء به ، كما قال تعالى : (فبهداهم اقتده) (الأنعام : ٩٠) ، فالجملة معترضة بين جملة (واذكُرْ) وجملةِ بيانها وهي (إنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ معه)،والأوّاب : الكثير الأوْب ، أي الرجوع . والمراد : الرجوع إلى ما أمر الله به والوقوف عند حدوده وتدارك ما فرط فيه ، والتائب يطلق عليه الأوّاب ، وهو غالب استعمال القرآن)).[٩٥]

ومرة أخرى في نهاية المطاف ينصح الله تعالى رسوله بالزاد المعين على جميل الصبر بأسلوب لطيف يعرض جلال ذكر داود لله تعالى ،فإن داوود عليه السلام ((مع النبوة والملك آتاه الله من فضله قلبا ذاكرا وصوتا رخيما، يرجع به تراتيله التي يمجد فيها ربه. وبلغ من قوة استغراقه في الذكر، ومن حسن حظه في الترتيل، أن تزول الحواجز بين كيانه وكيان هذا الكون،وتتصل حقيقته بحقيقة الجبال والطير في صلتها كلها ببارئها،..:«إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْراقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ» ... والطير تتجمع على نغماته لتسمع له ، وأمام هذا المنظر الآسر العجيب((يقف الناس مدهوشين للنبأ، إذ [٩٦] وترجع معه أناشيده)) يخالف مألوفهم، ويخالف ما اعتادوا أن يحسوه من العزلة بين جنس الإنسان، وجنس الطير، وجنس الجبال! ولكن فيم الدهش؟ وفيم العجب؟ إن لهذه الخلائق كلها حقيقة واحدة)).[٩٧]

٧-﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧ ﴾(غافر/٧٧).

تحقق هذه الآية الكريمة التي جاءت في نهاية مقطع جاء في نهايات سورة غافر ابتداء من قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩ ﴾(غافر/٦٩) عمقاً في التماسك النصي والترابط الأسلوبي والتلوين المعنوي عبر اختلاف السياق الذي يضفي معان متنوعة على المفردات أو التراكيب نفسها،إذ((قد كان فيما سبق من السورة ما فيه تسلية للنبي (صلى الله عليه وسلم) على ما تلقَّاه به المشركون من الإساءة والتصميم على الإعراض ابتداء من قوله في أول السورة) فَلاَ يَغْرُرك تقَلُّبُهم في البِلادِ ((غافر : ٤)...، ثم قوله : (إنَّا لَنَنْصر رُسُلنا ((غافر : ٥١) ثم قوله : (فاصبر إن وعدالله حق واستغفر لذنبك)(غافر : ٥٥) الآية ، ففرع هنا على جميع ما سبق وما تخلله من تصريح وتعريض أن أمر الله النبي (صلى الله عليه وسلم) بالصبر على ما يلاقيه منهم ، وهذا كالتكرير لقوله فيما تقدم (فَاصْبِر إنَّ وَعْدَ الله إلا أن هذا التكرير رغم ما أفاده من توكيد ولكن السياق [٩٨]حَقٌّ واستغْفِر لِذَنْبِك)[غَافِر: ٥٥]))
اختلف فأفاد ظلالا معنوية أخرى ،إذ الأول جاء في سياق الوعد بنصره في الدنيا والثاني جاء في سياق نصره في الآخرة. ((وذلك أن نظيره المتقدم ورد بعد الوعد بالنصر في قوله : (إنَّا لننصُرُ رُسُلنا والذين ءامَنُوا في الحَيَواةِ الدُّنيا ويوْمَ يَقُوم الأشْهادُ ((غافر : ٥١)...فلما تمّ الكلام على ما أخذ الله به المكذبين من عذاب الدنيا انتقَلَ الكلامُ إلى ذكر ما يلقونه في الآخرة بقوله : (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رُسُلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسِل ((غافر : ، وها هنا [٩٩]٧٠ ، ٧١) الآيات ، ثم أعقبه بقوله : (فاصبر إن وعد الله حق (عوْداً إلى بدء))
سر آخر أيضاً ، وهو أن تكرار الأمر بالصبر هنا ليس تكراراً محضاً في حق المخاطبة النفسية

بل((كان توجيهاً إلى صبر من لون جديد ربما كان أشق من الصبر على الإيذاء والكبر والتكذيب؟! إن احتجاز النفس البشرية عن الرغبة في أن ترى كيف يأخذ الله أعداءه وأعداء دعوته، بينما يقع عليها العداء والخصومة من أولئك الأعداء، أمر شديد على النفس صعيب، ولكنه الأدب الإلهي العالي، والإعداد الإلهي لأصفيائه المختارين، وتخليص النفس المختارة من [١٠٠] كل شيء لها فيه أرب، حتى ولو كان هذا الأرب هو الانتصار من أعداء هذا الدين!)).

وأكّد الأسلوب القرآني جملةقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾بـ(إن)التي أدت أدواراً متعددةً ، فهي من ناحية ((تعليل للأمر بالصبر، و إنّ للاهتمام بالخبر وهي في مثل هذا المقام تغني ، ومن ناحية أخرى خرجت بالخبر عن [١٠١] غناء فاء التعليل فكأنه قيل : فوعد الله حق)) مقتضى ظاهره،((وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين استبطأوا النصر كما قال تعالى : (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر اللَّه ((البقرة : ٢١٤) فنزلوا منزلة المتردد فيه فأُكد وعده بحرف التوكيد ، والتعبير بالمضارع في قوله : (يرجعون) لإفادته التجدد فيشعر بأنه رجوع إلى الله في الدنيا)) [١٠٢].

أما المعنى الإجمالي لقوله تعالى: فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ((فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ يَعْنِي أُولَئِكَ الْكُفَّارَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، مِثْلَ الْقَتْلِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَذَلِكَ هُوَ الْمَطْلُوبُ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قَبْلَ إِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنَنْتَقِمُ مِنْهُمْ أَشَدَّ الِانْتِقَامِ،وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْناهُمْ فَإِنَّا [١٠٣] عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ [الزُّخْرُفِ: ٤١، ٤٢]))

،أما وجه الارتباط الشرطي التفصيلي فهو ما يأتي((قوله : (فإمَّا نُرِيَنَّكَ) شرط ، اقترن حرف (إنْ) الشرطية بحرف (ما)الزائدة للتأكيد ولذلك لحقت نون التوكيد بفعل الشرط ، وعطف عليه) أو نَتَوَفَّيَنَّكَ (وهو فعل شرط ثان ، وجملة (فإلينا يُرْجَعُون) جواب لفعل الشرط الثاني لأن المعنى على أنه جواب له . وأما فعل الشرط

الأول فجوابه محذوف دل عليه أول الكلام وهو قوله : (إنَّ وعد الله حق) وتقديرُ جوابه : فإما نرينك بعض الذي نعدهم فذاكَ ، أو نتوفينك فإلينا يُرجعون ، أي فهم غير مفلَتين))[١٠٤].

ثم استمر الأسلوب القرآني في تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر الرسل قبله تثبيتاً على الحق و تجذيراً له عبر مواقف التاريخ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾(غافر/٧٨).

٨-﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(الأحقاف/٣٥)

تختم هذه الآية الكريمة سورة الأحقاف مؤنسة للنبي صلى الله عليه وسلم و تشد من أزره تحقيقاً لكمال الثبات أمام التكذيب والصد عن الحق الذي يواجهه صباح مساء بأشكال شتى ، ولذلك سبقت ببيان مصير الكافرين البائس إشارةً إلى أن العاقبة للمؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾،فهي ((تفريع على ما سبق في هذه السورة من تكذيب المشركين رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) بجعلهم القرآن مفترى واستهزائهم به وبما جاء به من البعث ابتداء من قوله : (وإذا تُتْلَى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحـــر مبيـن) (الأحقاف : ٧) ، وما اتصل به من ضَرْب المَثَل لهم بعاد ،فأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالصبر على ما لقيه منهم من أذى ، وضرب له المثل بالرسل أولـــــي العزم))[١٠٥].

، ويثير [١٠٦] والأمر بالصبر هنا يمثل ((الوقوف بحكمِ الله والثبات من غير بث ولا استكراه)). جملة من الإيحاءات لأنه ((توجيه يقال لمحمد– صلى الله عليه وسلم– وهو الذي احتمل ما احتمل، وعانى من قومه ما عانى وهو الذي نشأ يتيما، وجرد من الولي والحامي ومن كل أسباب الأرض واحداً بعد واحد الأب والأم والجد.والعم والزوج الوفية الحنون وخلص لله ولدعوته مجردا من كل شاغل كما هو مجرد من كل سند أو ظهيروهو الذي لقي من أقاربه من المشركين أشد مما لاقى من الأبعدين وهو الذي خرج مرة ومرة ومرة يستنصر القبائل والأفراد فرد في كل مرة بلا نصرة. وفي بعض المرات باستهزاء السفهاء ورجمهم له بالحجارة حتى تدمى قدماه

،وفضلاً عن ذلك فإننا إذا نظرنا إلى السياق نجد((أن الأمر بالصبر هنا يحمل [١٠٧]الطاهرتان)) تهديداً للمشركين، وأن على النبي ألا يستعجل لهم العذاب، الذي هو قريب منهم فالمراد بالصبر ليس صبر المعاناة والاحتمال وحسب، وإنما المراد به أوّلا،هو صبر الانتظار، والإمهال،كما يقول والذي يدل على ذلك أيضاً أنه((قد [١٠٨]سبحانه: «فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (١٧: الطارق))) كان الرسل فى هذا فريقين، فريقاً استعجل العذاب لقومه، بعد أن بلغهم رسالة ربه، كما يقول الله سبحانه على لسان نوح: «وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً» (٢٦: نوح) وكما فعل يونس، حين زايل موقفه من قومه قبل أن يؤمنوا بالله، وتركهم لمصيرهم، الذي يصير إليه الضالون المكذبون.. وفريقاً صبر وانتظر، حتى جاء أمر الله فى قومه، كما فعل إبراهيم، وموسى، وعيسى، فلم يدع أحد منهم ربّه بأن يهلكهم، على كثرة ما ساقت إليهم أقوامهم من ألوان ،و قد وجَّه الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام إلى الصبر كما صبر أولوا [١٠٩] العنت والأذى)) العزم من الرسل واستعمل أداة التشبيه (كما) إشارةً إلى أن المطلوب منه ليس أكثر ممن سبقوه من أولي العزم من الرسل كما يقال ادرس كما درس فأنت تملك من القدرة على أقل تقدير مثل ما يملك وأن ذلك الصبر في ضمن طاقتك وقدرتك تشجيعاً وتطميناً وتسليةً ، إلا أن النبي صلوات

الله وسلامه عليه قد ضرب المثل الأعلى في إحسان في صبره مقارنة بمن سبقوه فإنه((قد جاوز هذه الغاية إلى غاية أخرى، فكان لسانه دائما داعيا إلى الله بهداية قومه، والصفح عنهم.. حتى فى أشد أحوالهم إعناتا وأذى له.. كما كان ذلك فى موقفه- صلوات الله وسلامه عليه- يوم أحد، وقد شجَّه المشركون، وأسالوا دمه، وكسروا رباعيته، فما زاد أن وجّه وجهه إلى السماء، وبسط يديه إلى ربه قائلا: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون»))[١١٠].

والمقصود بأولو العزم من الرسل((أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيس قواعدها وتثبيت معاقدها، ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... والخلاف في تعيينهم كثير منتشر هذا القول أشهر ما فيه، وكله مبني على أن «من» للتبعيض ،وإنما وصفوا بهذا الوصف لكمال همتهم في الحق وعزمهم على إنجازه أهدافه [١١١] وهو الظاهر)) فـ((العزم : نية محققة على عمل أو قول دون تردد . قال تعالى : (فإذا عزمت فتوكّل على الله ((آل عمران : ١٥٩) ...والعزم المحمود في الدين : العزم على ما فيه تزكية النفس وصلاح الأمة ، وقوامه الصبر على المكروه وباعث التقوى ، وقوته شدة المراقبة بأن لا يتهاون المؤمن عن محاسبته نفسه قال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (آل عمران : ١٨٦) ...وهذه الآية اقتضت أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) من أولي العزم لأن تشبيه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم لأنه ممتثل أمر ربه ، فصبره مثيل لصبرهم ، ومَن صَبَرَ صَبْرَهم كان منهم))[١١٢].

ثم إنه تعالى((لما أمره بالصبر الذي من أعلى الفضائل، نهاه عن العجلة التي هي من أمهات الرذائل، ليصح التحلي بفضيلة الصبر الضامنة للفوز والنصر فقال: {ولا تستعجل لهم} ،وإنما نهاه [١١٣]أي تطلب العجلة وتوجدها بأن تفعل شيئاً مما يسوءهم في غير حينه الأليق به)) عن ذلك ((لأن الاستعجال ينافي العزم ولأن في تأخير العذاب تطويلاً لمدة صبر الرسول (صلى

الله عليه وسلم) بكسب عزمه قوة ،ومفعول (تستعجل) محذوف دل عليه المقام ، تقديره : العذاب أو الهلاك . واللام في (لهم)لام تعدية فعل الاستعجال إلى المفعول لأجله ، أي لا تستعجل لأجلهم ، والكلام على حذف مضاف إذ التقدير : لا تستعجل لهلاكهم))[١١٤].

ومثلت((جملة ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ﴾تعليل للنهيعن الاستعجال لهم بالعذاب بأن العذاب واقع بهم فلا يؤثر في وقوعه تطويل أجله ولا تعجيله ...وهم عند حلوله منذ طول المدة يشبه حالهم حال عدم المهلة إلا ساعة قليلة .و (من نهار) وصف الساعة ، وتخصيصها بهذا الوصف لأن ساعة النهار تبدو للناس قصيرة لما للناس في النهار من الشواغل بخلاف ساعة الليل تطول إذ لا يجد الساهر شيئاً يشغله . فالتنكير))[١١٥]،وشكّل قوله تعالى :(بَلاغٌ)((فذلكة لما تقدم بأنه بلاغ للناس مؤمِنهم وكافِرهم ليعلم كلٌّ حَظّه من ذلك ، فقوله : (بلاغ (خبر مبتدإ محذوف تقديره : هذا بلاغ ، على طريقة العنوان والطالع نحوَ ما يُكتب في أعلى الظهير : (ظهير من أمير المؤمنين) ، أو ما يكتب في أعلى الصكوك نحو : (إيداع وصية) ، أو ما يكتب في التآليف نحو ما في (الموطأ) (وقوت الصلاة) . ومنه ما يكتب في أعالي المنشورات القضائية والتجارية كلمة : (إعلان) ...والجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً على طريقة الفذلكة والتحصيل مثل جملة (تلك عشرة كاملة) (البقرة : ١٩٦) ، (تلك أمة قد خلت (البقرة : ١٣٤)))[١١٦].

أما قوله تعالى:﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾،فهو ((فرع على جملة) كأنهم يوم يرون ما يُوعدون (إلى) من نهار (، أي فلا يصيبُ العذاب إلا المشركين أمثالهم . والاستفهام مستعمل في النفي ، ولذلك صحّ الاستثناء منه كقوله تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه ((البقرة : ١٣٠) ،ومعنى التفريع أنه قد اتضح مما سمعت أنه لا يهلك إلا القوم الفاسقون))[١١٧].

وهكذا في نهاية المطاف يمكن القول إن((كل كلمة في الآية ذات رصيد ضخم وكل عبارة وراءها عالم من الصور والظلال، والمعاني والإيحاءات، والقضايا والقيم... ألا إنه لطريق شاق طريق هذه الدعوة وطريق مرير حتى لتحتاج نفس كنفس محمد- صلى الله عليه وسلم- في تجردها وانقطاعها للدعوة، وفي ثباتها وصلابتها،وفي صفائها وشفافيتها. تحتاج إلى التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنتين نعم وإن مشقة هذا الطريق لتحتاج إلى مواساة،وإن صعوبته لتحتاج إلى صبر وإن مرارته لتحتاج إلى جرعة حلوة من رحيق العطف الإلهي المختوم))[١١٨].

٩-﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩ ﴾ (الطور/٤٨ -٤٩).

تختم هذه الآية الكريمة سورة الطور بأجمل ختام ينسجم ويترابط مع سياقها الخاص المتمثل بقوله تعالى : ﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩ ﴾،وينسجم أيضاً مع سياق السورة العام وأغراضها العامة،وذلك أن قوله تعالى فَإِن﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾((عطف على جملة ﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥ ﴾(الطور : ٤٥) الخ ، وما بينهما اعتراض وكان مفتتح السورة خطاباً للنبي (صلى الله عليه وسلم) ابتداء من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ ﴾(الطور : ٧) المسوق مساق التسلية له ، وكان

في معظم ما في السورة من الأخبار ما يخالطه في نفسه (صلى الله عليه وسلم) من الكدر والأسف على ضلال قومه وبعدهم عما جاءهم به من الهدى ختمَت السورة بأمره بالصبر تسلية له ،ثم إن في عطف (اصبر) على [١١٩]وبأمره بالتسبيح وحمدِ الله شكراً له على تفضيله بالرسالة)) (ذرهم)إشارة أخرى ،فإنه ((لَمَّا قَالَ تَعَالَى: فَذَرْهُمْ [الطُّورِ: ٤٥] كَانَ فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي نُصْحِهِمْ نَفْعٌ وَلَاسِيَّمَا وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ [الطُّورِ: ٤٤] وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَحْمِلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدُّعَاءِ كَمَا قَالَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً [نُوحٍ: ٢٦] وَكَمَا دَعَا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ تَعَالَى: وَاصْبِرْ وَبَدِّلِ اللَّعْنَ ،وقد قُدِّم الفعل (اصبر) على شبه الجملة [١٢٠]بِالتَّسْبِيحِ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بَدَلَ قَوْلِكَ اللَّهُمّ أَهْلِكْهُمْ)) (لحكم ربك)انسجاماً مع المقام،فالأسلوب القرآني((لكونه في مقام الإعراض عن الكفار وكون إعراضه عنهم أصعب عليه من مقاساة إنذاره وإن نشأ عنها تكذيبهم واستهزاؤهم، اشتدت العناية هنا بالصبر فقدم)) [١٢١].

وفي اختيار الأسلوب القرآني لتركيب (حُكمِ ربِك) دون غيره إيجاز مكتنز بأوقع المعاني ،لأن((دلالة كلمة (حكم) : في اللغة قد يكون الحكم بمعنى الحكمة... وقد تأتي بمعنى القضاء أو الفصل... وهنا أمره بالصبر لهما معاً أي أن يصبر لحكمة أرادها الله تعالى ولحكم الله وقضائه،لأن قضاءه له حكمة بمعنى اصبر لحكم الله وقضائه لحكمة أرادها الله تعالى وهذا ما يُسمى التوسع في المعنى)) [١٢٢] ، ولأن سياق الآية في إطار دعوة الكافرين إلى الله تعالى فـ((المراد ب (حكم ربك)ما حكم به وقدره من انتفاء إجابَة بعضهم ومن إبطاء إجابة أكثرهم)) على وفق حكمته،وإنما اختير التعبير بالحكم ((لأن الرسالة عن الله لا خيرة للمرسَل في قبولها والاضطلاعِ بأمورها ، ولأن ما يحفّ بها من مصاعب إصلاح الأمة وحملِها على ما فيه خيرها [١٢٣]

في العاجل والآجل ، وتلقي أصناف الأذى في خلال ذلك حتى يتمّ ما أمر الله به ، كالحكم على الرسول بقبولك ما يبلغ منتهى الطاقة إلى أجلٍ معين عند الله)).[١٢٤]

واللام في (لحكم)تعليلية سببيةعلى بابها((يُقَالُ لِمَ خَرَجْتَ فَيُقَالُ لِحُكْمِ فُلَانٍ عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ فَقَالَ: وَاصْبِرْ وَاجْعَلْ سَبَبَ الصَّبْرِ امْتِثَالَ الْأَمْرِ حَيْثُ قَالَ وَاصْبِرْ لِهَذَا الْحُكْمِ عَلَيْكَ لَا لِشَيْءٍ آخَرَ)) ، وفي اختيار اللام أيضا إشارة لطيفة إلى أن الحكم الرباني القدري في النهاية لصالح النبي [١٢٥] صلى الله عليه وسلم ،فالحكم له لا عليه،((وقد آذن بذلك قوله : (لحكم ربك) دون أن يقول : ،وليس الفعل (اصبر) [١٢٦] واصبر لحكمنا ، أو لحكم الله ، فإن المربوبية تؤذن بالعناية بالمربوب)) متضمناً لمعنى أثبت ،لأن صبر يتعدى باللام أيضاً كما يتعدى بـ(على)،وليست اللام هنا بمعنى (على) ،لأن سياق العناية الربانية به صلى الله عليه وسلم يرجحاستعمال اللام كما مر ، فضلاً عن أن التضمين ومجيء حرف بمعنى حرف آخر خلاف الأصل،وعند تتبع التعبير القرآني البديع في هذه الآية نجد روعة التصوير الذي يشد النفس ويأخذ بمجامع القلوب في قوله تعالى:(فإنك بأعيننا)((ويا له من تعبير! ويا له من تصوير! ويا له من تقدير! إنها مرتبة لم يبلغها قط إنسان. هذه المرتبة التي يصورها هذا التعبير الفريد في القرآن كله. حتى بين التعبيرات المشابهة...وهو ،ونجد [١٢٧] تعبير فيه إعزاز خاص، وأنس خاص، وهو يلقي ظلا فريدا أرق وأشف من كل ظل)) أيضاً جمال الرصف وتناسقه المؤثرمع الفعل(اصبر)،إذ((والتفريع في قوله : (فإنك بأعيننا (تفريع العلة على المعلول) اصبر (لأنك بأعيننا ، أي بمحل العناية والكلاءة منا ، نحن نعلم ما تلاقيه وما يريدونه بك فنحن نجازيك على ما تلقاه ونحرسك من شرهم وننتقم لك منهم ، وقد وفى بهذا كله التمثيلُ في قوله : (فإنك بأعيننا (، فإن الباء للإلصاق المجَازي ، أي لا نغفل عنك ، يقال : هو بمرأى مني ومسمع ، أي لا يخفى عليّ شأنه . وذكر العين تمثيل لشدة الملاحظة وهذا التمثيل كناية عن لازم الملاحظة من النصر والجزاء)).[١٢٨]

وفي اختيار الأسلوب القرآني لـ(أعيننا) على (عيني) المستعمل في حق موسى عليه السلامفي قوله تعالى:(ولتصنع على عيني) أسرار من التناسق اللفظي والتوسع المعنوي جمة،فإن التعبير القرآني((لَمَّا وَحَّدَ الضَّمِيرَ هُنَاكَ وَهُوَ يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ وحده وَحَّدَ الْعَيْنَ وَلَمَّا ذَكَرَ هَاهُنَا ضَمِيرَ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ بِأَعْيُنِنا وَهُوَ النُّونُ جَمَعَ الْعَيْنَ، وَقَالَ: بِأَعْيُنِنا هذا من حيث اللفظ...، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى فَلِأَنَّ الْحِفْظَ هَاهُنَا أَتَمُّ ،لِأَنَّ الصَّبْرَ مَطِيَّةُ الرَّحْمَةِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ اجْتَمَع ،وقد أشار القرآن إلى هذا الحفظ الأتم بوساطة [١٢٩] لَهُ النَّاسُ وَجَمَعُوا لَهُ مَكَايِدَ وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِه)) استعماله أعيندون عين((لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها، وهي ظاهرة في الجمع وإشارة إلى أنه محفوف بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه فهو مكلوء مرعى به وبجنوده وفاعل في ،وعند التعمق أكثر في [١٣٠] حفظه فعل من له أعين محيطة بمحفوظه من كل جهة من جهاته)) الأسرار البلاغية لاستعمال (أعيننا) يمكن أن يقال أن((وجمعُ الأعين : إما مبالغة في التمثيل كأنَّ الملاحظة بأعين عديدة كقوله : (واصنع الفلك بأعيننا ((هود : ٣٧) وهو من قبيل) والسماء بنيناها بأييد ((الذاريات : ٤٧)،ولك أن تجعل الجمع باعتبار تعدد متعلَّقات الملاحظة فملاحظةٌ للذب عنه ، وملاحظة لتوجيه الثواب ورفع الدرجة ، وملاحظة لجزاء أعدائه بما يستحقونه ، وملاحظة لنصره عليهم بعموم الإيمان به ، وهذا الجمع على نحو قوله تعالى في قصة نوح : (وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا)(القمر : ١٣ ، ١٤) لأن عناية الله بأهل السفينة تتعلّق بإجرائها وتجنيب الغرق عنها وسلامة ركابها واختيار الوقت لإرسائها وسلامة الركاب في هبوطهم ، وذلك خلاف قوله في قصة موسى) ولتصنع على عيني ((طه : ٣٩) فإنه تعلق واحد بمشي أخته إلى آل فرعون وقولها : (هل أدلكم على من يكفله ((طه : ٤٠))) ،ثم إنه إِنْ قِيلَ إن كانت الباء في (بأعيننا) للإلصاق المجازي بمعنى الحفظ أي فإنك محفوظ [١٣١] ،((فَمَا الْفَرْقُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ [١٣٢] بأعيننا أو بمعنى الرؤية المستلزمة للعلم أي فإنك مرئي بأعيننا

حَيْثُ قَالَ فِي طه عَلى عَيْنِي [طَه: ٣٩] وَقَالَ هَاهُنَا بِأَعْيُنِنا ... تَقُولُ مَعْنَى عَلَى هُنَاكَ هُوَ أَنَّهُ يُرَى عَلَى مَا يَرْضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا يَقُولُ أَفْعَلُهُ عَلَى عَيْنِي أَيْ عَلَى رِضَايَ تَقْدِيرُهُ عَلَى وَجْهٍ يَدْخُلُ فِي عَيْنِي وَأَلْتَفِتُ إِلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ يَفْعَلُ شَيْئًا لِغَيْرِهِ وَلَا يَرْتَضِيهِ لَا يَنْظُرُ فِيهِ وَلَا يُقَرِّبُ عَيْنَهُ إِلَيْهِ[١٣٣])).

ثم أردف السياق القرآني بقوله تعالى:﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ توجيهاً للنبي صلى الله عليه وسلم وهدايةله للاستعانة بذكر الله تعالى الذي منه الصلاة الصلة الدائمة به تعالى تحملا لمشاق الدعوة،لأنه((لما كانت الطاعة أعظم ناصر وأكبر معز، وكانت الصلاة أعظمها قال: {وسبح} أي أوقع التنزيه عن شائبة كل نقص بالقلب واللسان ،و((بالجُمْلَة فَالْمُرَادُ مِنْه الْأَمْرُ بِالْمُوَاظَبَة على ذِكْرِ اللَّه، وَأَنْ لَا يَفْتُرَ اللِّسَانُ عَنْه، [١٣٤]والأركان)) وَأَنْ لَا يَغْفُلَ الْقَلْبُ عَنْهُ، حَتَّى يَصِيرَ الْإِنْسَانُ بِهَذَا السَّبَبِ دَاخِلًا في زُمْرَةِ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا قَالَ فِي وَصْفِهِمْ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لَا يَفْتُرُونَ [الأنبياء: ٢٠]))[١٣٥].

١٠-﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾(القلم/٤٨ -٤٩).

تُشكِّل هذه الآية وما تلاها أحسن ختام لسورة القلم انسجاماً مع مضامين السورة العامة التي تحدثت عن معاناة الرسول صلى الله عليه وسلم من صدود الكافرين ودسائسهم،وسياق الآية الخاصوما سبقها من قوله تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾(القلم /٤٤-٤٧))(تفريع على ما تقدم من إبطال مزاعم المشركين ومطاعنهم في القرآن والرسول (صلى الله عليه وسلم) وما تبعه من تكفل الله لرسوله (صلى الله

عليه وسلم) بعاقبة النصر ، وذلك أن شدته على نفس النبي (صلى الله عليه وسلم) من شأنها أن تُدخل عليه يَأْساً من حصول رغبته ونجاح سعيه ، ففرع عليه تثبيتهُ وحثه على المصابرة واستمراره على الهَدْي ، وتعريفه بأن ذلك التثبيت يرفع درجته في مقام الرسالة ليكون من أولي العزم ، فذكَّره بمثَل يونس عليه السلام إذْ استعجل عن أمر ربّه ، فأدبه الله ثم اجتباه وتاب عليه ،وقد جاء هذا التذكير ملخصاًموجزاً تجربة نبي [١٣٦]وجعله من الصالحين تذكيراً مراداً به التحذير)) الله يونس للنبي صلى الله عليه وسلم((لتكون له زادا ورصيدا، وهو خاتم النبيين، الذي سبقته تجارب النبيين أجمعين في حقل الرسالة، ليكون هو صاحب الحصاد الأخير، وصاحب الرصيد الأخير، وصاحب الزاد الأخير، فيعينه هذا على عبئه الثقيل الكبير. عبء هداية البشرية جميعها لا قبيلة ولا قرية ولا أمة. وعبء هداية الأجيال جميعها لا جيل واحد ولا قرن واحد كما كانت مهمة الرسل قبله وعبء إمداد البشرية بعده بكل أجيالها وكل أقوامها بمنهج دائم ثابت صالح لتلبية ما يجد في حياتها من أحوال وأوضاع وتجارب. وكل يوم يأتي بجديد

، وعند التعمق في الأسرار المعنوية في تفاصيل هذه الآية نجدأن((والمراد بحكم الربّ هنا [١٣٧])) أمره وهو ما حُمله إياه من الإرسال والاضطلاع بأعباء الدعوة ... ولا جرم أن الصبر لذلك يستدعي انتظار الوعد بالنصر وعدم الضجر من تأخره إلى أمده المقدر في علم)) [١٣٨].

وقد اختار الأسلوب القرآني تركيب (صَاحِب الحُوت)هنا على تركيب (ذي النون) لـ((أن «ذي» أبلغ من صاحب قال ابن حجر: لاقتضائها تعظيم المضاف إليها والموصوف بها بخلافه ومن ثم قال سبحانه في معرض مدح يونس عليه السلام (وَذَا النُّونِ) [الأنبياء: ٨٧]،وفي معرض النهي عن اتباعه (وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ) لكونه جعل فاتحة سورة أفخم وأشرف)) ثم إن هنالك أمراً آخر فـ((الصاحب : الذي يصحب غيره ، أي يكون معه في بعض الأحوال أو في معظمها ،

وإطلاقه على يونس لأن الحوت التقمه ثم قذفه فصار (صاحبُ الحوت) لقباً له لأن تلك الحالة معيَّة))[١٣٩].

ومن دقة التعبير القرآني عن معاناة يونس عليه السلام الحال في قوله تعالى وهو مكظوم إذ((جِيء بِهذه الحال جُمْلَةً اسميَّة لدَلالتها على الثَّبات، أَي هو في حَبس لا يُرْجَى لِمِثْلِه ، ومما زاد من جمال تصوير [١٤٠] سراح، وهَذَا تمْهيدٌ للامتنَان عليه بِالنَّجاة من مثل ذلك الحبس)) هذه الحال اختيار كلمة (مكظوم) التي اختصرت كثيراً من المعاني إذ هي تعني أنه ((مملوء كرباً وهماً وشدة وغماً محمول على السكوت ببطنه فهو لا ينطق من شدة حزنه، ومحبوس عن جميع ما يريد من التصرف إلى أن ألجأه سبحانه بذلك إلى الدعاء والتضرع، من الكظم، وهو السكوت عن امتلاء وتجرع للمرارات، ومن هذا كظمت السقاء أي شددته وملأته فكان مكظوماً، والمكظوم: ،ثم أمعن الأسلوب القرآني في بيان [١٤١] المكروب – كأنه قد أخذ بكظمه وهو مخرج نفسه)) ضرورة الصبر وأهميته بشكل ضمني غير مباشر عودا على بدء فـ((قوله : (لولا أن تداركه نعمة من ربّه لَنُبذ بالعراء) إلخ استئناف بياني ناشىء عن مضمون النهي من قوله : (ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى) إلخ لأنه يتضمن التحذير من الوقوع في كرب من قبيل كرب يونس ثم لا يدري كيف يكون انفراجه))[١٤٢].

١١-﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾(المزمل/١٠) .

تأتي هذه الآية الكريمة في نهاية مقطع اشتمل على جملة من التوجيهات الربانية للنبي صلى الله عليه وسلم لتكون المعين الكبير الجامع للخير من أطرافه وخطة المواجهة الحكيمة وتمثلت هذه التوجيهات بقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ

قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ ﴾(المزمل/١-٩)،((ويروى في سبب نزول هذه السورة أن قريشا اجتمعت في دار الندوة تدبر كيدها للنبي- صلى الله عليه وسلم- وللدعوة التي جاءهم بها. فبلغ ذلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فاغتم له والتف بثيابه وتزمَّل ونام مهموماً، فنزلت .وفضلاً عن ذلك فإنه ((وقد مضى [١٤٣] هذه الآيات «يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا.. إلخ»)) في السور التي نزلت قبل سورة المزمل مقالات أذى من المشركين لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ففي سورة العلق (٩ ، ١٠) (أرأيت الذي ينهَى عبداً إذا صلى) ، قيل هو أبو جهل تهدّد رسول الله لئن صلى في المسجد الحرام ليَفْعَلَنّ ويفعلَنّ . وفيها : (إن الإنسان ليطغى أن رءاه استغنى) (العلق : ٦ ، ٧) . قيل هو الأخنس بن شريق تنكَّر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن كان حليفه ، وفي سورة القلم (١٥٢) ما أنت بنِعْمة ربّك بمجنون إلى قوله : فستبصر ويُبصرون بأيكم المفتون ، وقوله : ولا تطِع كلّ حلاّف مهين إلى قوله : قال أساطير ،وإذا دققنا النظر فيها ((فإننا نجد التوجيه إلى [١٤٤] الأولين ((القلم : ١٥) ردّاً لمقالاتهم...)) الصبر، بعد التوجيه إلى القيام والذكر، وهما كثيرا ما يقترنان في صدد تزويد القلب بزاد هذه الدعوة في طريقها الشاق الطويل، سواء طريقها في مسارب الضمير أو طريقها في جهاد المناوئين، وكلاهما شاق عسير. نجد التوجيه إلى الصبر. «وَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ» . مما يغيظ ويحنق...والصبر هو الوصية من الله لكل رسول من رسله، مرة ومرة ومرة ولعباده المؤمنين برسله. وما يمكن أن يقوم على هذه الدعوة أحد إلا والصبر زاده وعتاده، والصبر جنته وسلاحه، ، ثم يأتي التوجيه الآتي مكملاً للأول ((وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا» .. [١٤٥] والصبر ملجؤه وملاذه.)) لا عتاب معه ولا غضب، ولا هجر فيه ولا مشادة. وكانت هذه هي خطة الدعوة في مكة-

وبخاصة في أوائلها.. كانت مجرد خطاب للقلوب والضمائر، ومجرد بلاغ هادئ ومجرد بيان منير.والهجر الجميل مع التطاول والتكذيب، يحتاج إلى الصبر بعد الذكر))[١٤٦].

وعند إمعان النظر في جمال بلاغة هذه الآية وانسجامها السياقي نجد أنها عطفت على قوله تعالى: فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ((، وَالْمُنَاسَبَةُ أَنْ الصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى يُسْتَعَانُ عَلَيْهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ)) ،وقد أبدع الأسلوب القرآني باستعماله على الخصوص حرف الاستعلاء(على) ،والإجمال في الموصول(ما)،و المضارعية الدالة على التجدد في الفعل (يقولون) إذ((أشار إلى عظمة الصبر بتعديته بحرف الاستعلاء فقال: {على ما} وخفف الأمر بالإشارة إلى أنهم لا يصلون إلى غير الأذى بالقول، وعظمه باستمرارهم عليه فقال: {يقولون} أي المخالفون المفهومون من الوكالة من مدافعتهم الحق بالباطل في حق الله وحقك.))[١٤٧][١٤٨]

ثم إنه((لما كانت مجانبة البغيض إلا عند الاضطرار مما يخفف من أذاه قال: {واهجرهم} أي أعرض عنهم جهاراً دافعاً للهرج مهما أمكن {هجراً جميلاً } بأن تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بسرك وخاطرك، فلا تخالطهم إلا فيما أمرك الله به على ما حده لك من دعائهم إليه سبحانه ومن مواقاتهم في أفراحهم وأحزانهم فتؤدي حقوقهم ولا تطالبهم بحقوقك لا تصريحاً ولا تلويحاً))[١٤٩] ، وعلى هذا فإن((فالهجر الجميل هو الذي يَقتصر صاحبه على حقيقة الهجر ، وهو ترك المخالطة فلا يقرنها بجفاء آخر أو أذى ، ولما كان الهجر ينشأ عن بعض المهجور ، أو كراهية أعماله كان معرَّضاً لأن يعتلق به أذى من سبّ أو ضرب أو نحو ذلك . فأمر الله رسوله بهجر المشركين هجراً جميلاً ، أي أن يهجرهم ولا يزيدَ على هجرهم سَبّاً أو انتقاماً ، وهذا الهجر : هو إمساك النبي عن مكافاتهم بمثل ما يقولونه مما أشار إليه قوله تعالى : واصبر على ما يقولون))[١٥٠].

وقد راعى السياق القرآني كل الأحوال النفسية المتوقعة فأتبع الأمر بالصبر والهجر الجميل بقوله تعالى: ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾،فإنه((لما كان في أمره هذا بما يفعل ما يشق جداً بما فيه من احتمال علوهم، أعلم بقرب فرجه بتهديدهم بأخذهم سريعاً،فقال: {وذرني} أي اتركني على أي حالة اتفقت مني في معاملتهم، وأظهر في موضع الإضمار تعليقاً للحكم بالوصف وتعميماً فقال: {والمكذبين} أي العريقين في التكذيب فإني قادر على رحمتهم وتعذيبهم)).[١٥١].

١٢- ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾(المدثر/٧).

تأتي هذه الآية الكريمة في ختام المقطع الأول من سورة المدثر الذي جاء إيقاعه سريعاً هادراً،إذ((يتدفق الأسلوب ويندفع، فى جمل قصيرة، مثيرا بذلك الانفعال السريع العنيف...حيث ، وهذا النمط من الفواصل القرآنية ذات [١٥٢]يتطلب هجوم الحق على الباطل هذا العنف المثير)) الجمل القصيرة رائع وعزيز عند أهل البلاغة الذي يسمى عندهم سجعاً،لأنه((أوعر أنواع التسجيع مسلكا، وأصعبها مدركا، وأخفها على القلب، وأطيبها على السمع، لأن الألفاظ إذا كانت قليلة فهى أحسن وأرق، لأنها إذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها)) ،وقد شكل المقطع الأول أحسن ابتداء للسورة ،لأن جمال المطلع بمنزلة الوجه والغرة من [١٥٣] الإنسان،ومطلع السورة الذي يقرع السمع أولا منها قد جاء هنا جذابا جامعا لصنوف من الإبداع والجمال كعذوبة اللفظ، وحسن السبك، وإيجاز المعنى، وصحته، وصفائه، وبراءته من الغموض، ،وقد اشتمل [١٥٤]والتعقيد؛ فيثمر ذلك في المتلقي إقبالا على الكلام، واستيعابا له، ووعيا لمضمونه على ست وصايا للرسول صلى الله عليه وسلم تمثلت بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾(المدثر/١-٦)،((فَهَذِهِ

سِتٌّ وَصَايَا أَوْصَى اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَبْدَأِ رِسَالَتِهِ وَهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الْقُرْآنِ ،وفيها أيضا((تعريض بالمشركين كأنه قيل [١٥٥] أَرَادَ اللَّهُ بِهَا تَزْكِيَةَ رَسُولِهِ وَجَعْلَهَا قدوة لأمته)) لرسول الله: وربك فكبر، لا الأوثان، وثيابك فطهر ولا تكن كالمشركين فهم نجس البدن والثياب، والرجز فاهجر ولا تقربه كما تقربه الكفار، ولا تمنن تستكثر كما أراد الكفار أن يعطوا الوليد قدرا من المال، وكانوا يستكثرون ذلك القليل، أي كانوا رائين لما يعطونه كثيرا، ولربك فاصبر على هذه ،ولابدّ من النظر للسياق الحالي المتعلق [١٥٦]الطاعات لا للأعراض العاجلة من المال والجاه)) بالآية تفصيلا لما مر وتوضيحا له،فقد جاء((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " أَقْبَلَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقُرْآنِ فَلَمَّا أَخْبَرَهُ خَرَجَ عَلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: يَا عَجَبًا لِمَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ بِشِعْرٍ وَلَا سِحْرٍ وَلَا بِهُذَاءِ مِثْلِ الْجُنُونِ وَإِنَّ قَوْلَهُ لَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ النَّفَرُ مِنْ قُرَيْشٍ ائْتَمَرُوا وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ صَبَأَ الْوَلِيدُ لَتَصْبُوَنَّ قُرَيْشٌ فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ قَالَ: وَاللَّهِ أَنَا أَكْفِيكُمْ شَأْنَهُ فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ فَقَالَ لِلْوَلِيدِ أَلَمْ تَرَ قَوْمَكَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ الصَّدَقَةَ قَالَ: أَلَسْتُ أَكْثَرَهُمْ مَالًا وَوَلَدًا؟ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَدْخُلُ عَلَى ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَتُصِيبُ مِنْ ،فهذه الرواية تشير إلى [١٥٧]طَعَامِهِ قَالَ الْوَلِيدُ: قَدْ تَحَدَّثَتْ بِهِ عَشِيرَتِي فَلَا أَقْرَبُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ)) أن الوليد بقي على دينه الباطل لأجل الجاه بين قومه، ومن هنا فقد خاطبت الآية الرسول صلى الله عليه وسلم أن اصبر على دينك الحق لأجل رضا الحق، لا لشيء غيره.

وعوداً على بدء فإذا نظرنا إلى هذه الوصايا القرآنية بإمعان نجد أن هذه الآية أجمع هذه الوصايا وأثقلها وقعاً، لأنها تشملها وتشمل فضلاً عن ذلك طريقة الثبات على أدائها على أحسن وجه ،إذ إن الأسلوب القرآني يلفت انتباه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن الصبر هو الركيزة التي تحافظ على توازن النفس ولذلك ((يوجهه أخيراً إلى الصبر. الصبر لربه: «وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» .. وهي الوصية التي تتكرر عند كل تكليف بهذه الدعوة أو تثبيت. والصبر هو هذا الزاد الأصيل

في هذه المعركة الشاقة معركة الدعوة إلى الله المعركة المزدوجة مع شهوات النفوس وأهواء القلوب ومع أعداء الدعوة الذين تقودهم شياطين الشهوات وتدفعهم شياطين الأهواء! وهي معركة طويلة عنيفة لا زاد لها إلا الصبر الذي يقصد فيه وجه الله، ويتجه به إليه احتسابا عنده وحده))[١٥٨].

وفي هذه الآية كانت المرة الوحيدة في القرآن الكريم التي تقدم فيها الجار والمجرور على الفعل(اصبر)،إذ تم تقديم (لربك) على فعل الأمر(اصبر) ،وذلك((للاهتمام بالأمور التي يصبر لأجلها ، ثم إن هذه الآية منسجمة مع ما قبلها من قوله تعالى قُمْ فَأَنْذِر [١٥٩] مع الرعاية على الفاصلة)) وما بعده، فإنه ((لما كان الإنذار شديداً على النفوس يحصل به من المعالجات ما الموت دونه، لأن ترك المألوفات أصعب شيء على النفوس، وكذا ترك الفوائد، قال آمراً بالتحلي بالعاصم بعد التخلي عن القاصم، معلماً بأن الأذى من المنذرين أمر لا بد منه فيدخل في الطاعة على بصيرة، فاقتضى الحال لذلك أن الإنذار يهون بالغنى عن الفانين والكون مع الباقي وحده، فأشار إلى ذلك بتقديم الإله معبراً عنه بوصف الإحسان ترغيباً فقال: {ولربك}))[١٦٠].

واللام في شبه الجملة (لربك) في الأصل لام الاستحقاق كما في (الحمد لله)، فكما يستحق الله تعالى الحمد لجلاله،فهو تعالى يستحق لأفضاله أن يصبر الإنسان في سبيل دينه وشرائعه وأحكامه على الأذى وأن يصبر على أقداره المكتوبة، فهذا خير الصبر وأحسنه وأجمعه فائدة ، لأنه يمثل عنصر الإخلاص لا أن يكون الصبر لأجل الباطل أو لملذات الدنيا وأهلها ، لأن الله تعالى له كل الحق على الإنسان فهو الرب الذي رباه حقيقة فخلقه وأوجده وأمده بأسباب الحياة لحظة بلحظة ،وأرشده بالهداية، وبناء على هذا فـ((في التعبير عن الله بوصف (ربّك) إيماء إلى معنى الاستحقاق فالصبر لأجل تبليغ دين الله نابع عن استحقاقه تعالى بجميل فضله وبره ، وعلى هذا فمعنى التعليل في اللام متفرع عن [١٦١] أن هذا الصبر برّ بالمولى وطاعة له))

ورحمته،وفضله تعالى على نبينا سيد أولي العزم من الرسل عظيم لا نظير له ،ولذلك قد ذكر الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم في مواضع عدة من كتابه بفضله، كما أن القرآن الكريم ذكر شكر النبي صلى الله عليه وسلم لفضل ربه عليه على أحسن ما يكون في أخلاقه والصبر في تبليغ دينه ونشره ومن ذلك قوله تعالى :(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وقوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).

وبعد أن ((انتهى هذا التوجيه الإلهي للنبي الكريم، اتجه السياق إلى بيان ما ينذر به الآخرين، في لمسة توقظ الحس لليوم العسير، الذي ينذر بمقدمه النذير:«فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ. فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ» ..))[١٦٢].

١٢- ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ ﴾(الإنسان/٢٤).

شكَّلت هذه الآية الكريمة التي جاءت في أواخر سورة الإنسان غرضاً أساسياً جامعاًلأهدافها وتهديداً ظاهراًفاضحاًللكفرة الفجرة الصادين عن دعوة الحق والخير الذين أشارت إليهم أوائل السورة في قوله تعالى:﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ ﴾(الانسان/٣-٤)كما أنها سبقت بالحديث عن الجنة ونعيمها للشاكرين من عباده من الآية(١١)إلى الآية(٢٢)،وهو ما يعد من أحسن ما يعين على الصبر ثم جاء التكليف والأمر بالصبر عليه في قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ ﴾،ولما كان المقصود بـ(تنزيلاً) أن يكون((على التدريج بالحكمة جواباً للسائل ورفقاً بالعباد...ولما تقرر أن من الناس من ترك الهدى الذي هو البيان، فعمي عنه لإعراضه عنه، سبب عن هذا الإنزال وذاك الضلال قوله منبهاً على أمراض

القلوب، ومرشداً إلى دوائها: {فاصبر لحكم ربك} أي المحسن إليك...واستعن على مر الصبر باستحضار أن المربي الشفيق يربي بما يشاء من المر والحلو على حسب علمه وحكمته، والصبر: حبس النفس وضبطها على مقاومة الهوى لئلا تنقاد إلى شيء من قبائح اللذات.)) ،ثم المقصود بـ(حُكمِ رَبِك) هنا إما أن يكون معنىً خاصاً هو((تَأْخِير الْإِذْن في القِتَال وَنَظِيرُه [١٦٣] (فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ)[الْأَعْرَافِ: ٨٧] أَوْ يَكُونَ الْمَعْنَى عَامًّا في جمِيع التَّكَالِيف، أَيْ فَاصْبِرْ فِي كُلِّ مَا حَكَمَ بِهِ رَبُّكَ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ تَكْلِيفًا خَاصًّا بِكَ مِنَ الْعِبَادَات ،ثم [١٦٤] وَالطَّاعَات أَو مُتَعَلِّقًا بِالْغَيْر وَهُوَ التَّبْلِيغُ وَأَدَاءُ الرِّسَالَة، وَتَحَمُّل الْمَشَاقِّ النَّاشِئَة مِن ذَلِك)) إنه ((ولما كان من ضروب إعراضهم عن قبول دعوته ضربٌ فيه رغبات منهم مثل أن يَترك قرعهم بقوارع التنزيل من تأفين رأيهم وتحقير دينهم وأصنامهم ، وربما عرضوا عليه الصِهْر معهم ، أو بذْلَ المال منهم ، أُعقب أمره بالصبر على ما هو من ضروب الإعراض في صلابة وشدة ، بأن نهاه عن أن يطيعهم في الضرب الآخر من ضروب الإعراض الواقع في قالَب اللين والرغبة . وفي هذا النهي تأكيد للأمر بالصبر لأن النهي عنه يشمل كل ما يرفع موجبات الصبر المراد هنا ،والمقصود من هذا النهي تأييسهم من استجابته لهم حين يقرأ عليهم هذه الآية)) ،وفضلاً عن ذلكفإن النهي قد أفاد فائدة أخرى هي التصريح بلازم الصبر، إذ ((الأَوَّل أَمر [١٦٥] بالمأمورات، والثَّاني نَهيٌ عن المنهيَّاتودَلَالَة أَحَدهمَا على الآخر بالالتِزَام لا بالتَّصريح فيكون ،وإذا أردنا أن ندقق أكثر في مرامي الآية نجد أنها جاءت بالنهي عن [١٦٦]التَّصريح به مُفِيدًا)) الطاعة للكافرين الآثمين،((والطاعة : امتثال الطلب بفعل المطلوب وبالكف عن المنهي عنه فقد كان المشركون يعمدون إلى الطلب من النبي أن يفعل ما يرغبون ، مثل طرد ضعفاء المؤمنين من المجلس ، والإتيان بقرآن غير هذا أو تبديله بما يشايع أحوالهم ، وأن يكف عما لا يريدون وقوعه من تحقير آلهتهم ، والجهرِ بصلاته ، فحذره الله من الاستماع لقولهم وإياسهم من حصول

،و((لما أمره سبحانه بالصبر، وكان الأمر به مفهماً وجود المخالف، وكان [١٦٧]مرغوبهم)) المخالفون له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم القسم المضاد للشاكر وهم الكفرة، وكان ما يدعونه إليه تارة مطلق إثم، وأخرى كفراً وتارة غير ذلك، ذكر النتيجة ناهياً عن القسمين الأولين ليعلم أن المسكوت عنه لا نهي فيه فقال: {ولا تطع منهم} أي الكفرة الذين هم ضد الشاكرين {آثماً} أي داعياً إلى إثم سواء كان مجرداً عن مطلق الكفر أو مصاحباً له {أو كفوراً } أي مبالغاً في الكفر وداعياً إليه وإن ، و((الكَفُورُ أَخْبَث أَنْوَاع الْآثم، [١٦٨]كان كبيراً وعظيماً في الدنيا فإن الحق أكبر من كل كبير)) .[١٦٩]فخَصَّه بِالذِّكْر تَنْبِيهًا على غَايَة خُبْثِه ونِهَايَة بُعْدِه عَنِ اللَّه)).

وقد خرج الأسلوب القرآني هنا عن مقتضى الظاهر لمقتضيات معنوية جميلة ، إذ((ومقتضى الظاهر أن يقول : ولا تطعهم ، أو ولا تطع منهم أحداً ، فعدل عنه إلى آثماً أو كفوراً (للإشارة بالوصفين إلى أن طاعتهم تفضي إلى ارتكاب إثم أو كفر ، لأنهم في ذلك يأمرونه وينهونه غالباً فهم لا يأمرون إلاّ بما يلائم صفاتهم ،فالمراد بالآثم والكفور : الصنفان من الموصوفين وتعليق الطاعة المنهي عنها بهذين النوعين مُشعر بأن الوصفين علة في النهى ،والآثِم والكفُور مُتَلازِمَانِ فكان ذكر أحد الوصفين مغنياً عن الآخر ولكن جُمع بينهما لتشويه .[١٧٠]حال المتصف بهما قال تعالى : (والله لا يحب كل كفّار أثيم)((البقرة : ٢٧٦)))

وهكذا نجد أن هذه الآية الكريمة رسمت منذ البدء وضوح الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم((فإنه لا لقاء بينك وبينهم ولا يمكن أن تقام قنطرة للعبور عليها فوق الهوة الواسعة التي تفصل منهجك عن منهجهم، وتصورك للوجود كله عن تصورهم، ... ومعرفتك بالحق عن جاهليتهم! اصبر ولو طال الأمد، واشتدت الفتنة وقوي الإغراء، وامتد الطريق... واصبر على الباطل يغلب، والشر يتنفج... اصبر ولا تستمع لما يعرضونه من المصالحة والالتقاء في منتصف الطريق على حساب العقيدة...فهم آثمون كفار يدعونك إلى شيء من الإثم والكفر إذن حين

،ولعظم التكليف الرباني الملقى على عاتق [١٧١] يدعونك إلى الالتقاء بهم في منتصف الطريق!.)) النبي صلى الله عليه وسلم، فـ((لا بد من الزاد والمدد المعين:﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾هذا هو الزاد. اذكر اسم ربك في الصباح والمساء، واسجد له بالليل وسبحه طويلا. إنه الاتصال بالمصدر الذي نزّل عليك القرآن، وكلفك الدعوة، هو ينبوع القوة ومصدر الزاد والمدد. الاتصال به ذكراً وعبادةً ودعاءً وتسبيحاً. ليلاً طويلاً. فالطريق طويل، والعبء ثقيل، ولا بد من الزاد الكثير والمدد الكبير)).[١٧٢].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه: ((ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون))، والصلاة والسلام على من ختمت به الرسالات وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :فنحمد الله تعالى أن يسَّر لنا انجاز البحث بخاتمته المتواضعة هذه لتكون مسكا عبقا له، وخلُصت مسيرة البحث إلى جملة من النتائج الدلالية والأسلوبية نوجزها فنقول :

١- الصبر في الدلالة اللغوية: أعلى درجات التضييق في الحبس والإمساك .

٢- الصبر في الدلالة الشرعية: ثَبَاتُ بَاعِثِ الدِّينِ فِي مُقَابَلَةِ بَاعِثِ الهوى.

٣- الصبر في دلالة العرض القرآني:غطّى الصبر من حيث العرض المعنوي مساحة واسعة في القرآن الكريم، إذ جاء التصريح بجذر صبر ومشتقاته- فضلاً عما تضمن معناه وهو أكثر بكثير- في سبعة وتسعين موضعا،في الفترة المكية جاء بأربعة وسبعين موضعاً،وفي الفترة المدنية في ثلاثة وعشرين موضعا أي بما يوازي أقل من ثلث عدده في الفترة المكية، وذلك لشدة الحاجة إليه في بداية الدعوة الإسلامية.

٤- الصبر في العرض القرآني سلوك نفسي إيجابي دفاعي في خطة التغيير وليس خلقاً منفصلاً عن مشروع الإعداد الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم و لجيل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم المقدر له تغيير مسار التاريخ نحو السمو بالإنسان وتحقيق أعظم الإنجازات البشرية الحضارية على الإطلاق عبر إتباع تعليمات الوحي الكريم ، كما أنه ليس خلقاً تخديرياً سلبياً يقتضي الانسحاب و الانزواء عن تحقيق معادلة النصر والنجاح.

٥- يعتني التوجيه القرآني ببيان أساليب شحذ الصبر وإدامته وصيانته عن الخور عبر ربطه بتقوى الله تعالى الذي بيده مقاليد الأمور واليقين بموعوده، ويصله أيضاً برمز العبادة الصلاة بفرائضها ونوافلها ، ويصله أيضاً بالآخرة وجمال نعيمها الزاخر لتمتين الروح الجماعية وتنميتها عبر التواصي على المطاولة والثبات نصيب من ذلك أيضاً.٦- اعتمد الصبر عموماً من حيث شكل العرض بصورة إجمالية على الأسلوب الواضح المباشر، ولكنه صرَّف فيه القول ، فجاء مبنياً على طريقة القصة أو الخبر أو الإنشاء المبني على الأمر بصيغة افعل.

٦- إن الأساليب على نطاق الآيات موضع الدراسة كانت أساسية وساندة وتمثلت بأسلوبين : الأول:التكرار، والثاني:حسن الانتهاء، فضلاً عن أساليب أخرى دارت في فلكها،واقترن أسلوب التكرار وحسن الانتهاء في كل الآيات بشكل أو بآخر تحقيقا للتسلية والتثبيت.

٧- أدى اختيار أسلوب الخطاب الخاص بصيغة (اصبر) بدلاً من صيغة الغائب(وليصبر) إيحاءً إضافياً من القرب والحفاوة.

٨- جلَّى البحث تناغم التركيب الصوتي للفعل (اصبر) ، و(اصطبر) ولواحقه مع المعنى.

٩- استقر البحث على أن الآيات المشتملة على اصبر واصطبر غالبها مكي بالاتفاق وكلها مكية على الأرجح ، وإن أسلوبها ينسجم مع ذلك ،وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم للأمر الرباني أحسن امتثال، فكانت حياته قوامها الصبر و الابتلاء والامتحان مادتها وماءها، فكأنما

كانت تلك الحياة المختارة صفحات من الابتلاء والصبر معروضة للبشرية، لتسجل كيف تنتصر الروح الإنسانية على الآلام والضرورات وكيف تستعلي على كل ما تعتز به في الأرض.

١٠-أعطى أسلوب التكرار دفقاً متزايداً من المعاني للآيات التي ورد فيها، إذ إنه باعتبار السياق القرآني العام أو الكلي أدى تكرار فعل أمر المخاطب (اصبر) في سبعة عشر موضعاً دوره في ترسيخ هذا الأمر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو المقصود بالخطاب بالدرجة الأولى والمؤمنون من بعده تبعا.

١١-اكتسب التكرار معاني متكثرة عبر تنوع سياقاته التي اقتضت تعدية متغايرة ،وقد أدى تكرار عبارات أو تراكيب أخرى موجزة مركزة مع أمر المخاطب(اصبر) إلى إعطاء ألوان متجددة من التأثير، وطرد الملل بأبعاد النظر و التركيز نسبيا عن تكرار (اصبر) عبر تكرار عبارات أو تراكيب أخرى أو عبر تكرار ربط الأمر بالصبر بتكرار معنى الأمر بالعبادة صلاة أو ذكرا أو تسبيحا أو استغفارا أو دعاء ،وقد ورد ذلك في عشر مواضع.

١٢-لاحظ البحث في إطار التكرار باعتبار السياق القرآني العام ثلاث مجموعات ، تمثلت الأولى بتكرار(اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) في ثلاثة مواضع(الطور /٤٨)،(القلم/٤٨)،(الإنسان/٢٤) في حين انزاح الأسلوب القرآني عن ذلك إلى(اصبر حتى يحكم الله)(يونس /من١٠٩)لأسرار بلاغية ذكرت في البحث، وتمثلت المجموعة الثانية بتكرار عبارة(اصبر على ما يقولون)في أربعة مواضع هي(طه/١٣٠)،(ص/١٧)،(ق/٣٩)،(المزمل/١٠)،وتمثلت المجموعة الثالثة بتكرار عبارة(إن وعد الله حق)في ثلاثة مواضع هي(الروم/٦٠)،(غافر/٥٥،٧٧)،أما باعتبار النظر إلى التكرار في نطاق السياق الخاص سواء كان سورة أو في ضمن المقطع نجد في النمط الأول تكرار الأمر بالصبر في سورة (هود/٤٩،١١٥)،وتكراره أيضا في سورة (غافر/٥٥،٧٧) ،أما في

إطار المقطع فنجد ذلك في كل من(النحل/١٢٦-١٢٧)،(طه/١٣٠-٣١)،(الأحقاف/٣٥)،(المعارج /٥).

١٣- شكَّل أسلوب حسن الانتهاء دوراً بارزاً في الأداء ،إذ جاء على نوعين :الأول نهاية مقطع والثاني ختام سورة، إذ ورد الأول على ثلاثة أنماط: الأول :نهاية مقطع ورد في بدايات السورة،وذلك في أربعة مواضع،في كل من السور الآتية:

(ص/١٧)،(المعارج/٥)،(المزمل/١٠)،و(المدثر/٧) ،والثاني :نهاية مقطع ورد في أواسط السورة وذلك ورد في ثلاثة مواضع، في كل من السور الآتية: (هود/٤٩)،(الكهف /٢٨)،(غافر/٥٥)، والثالث : نهاية مقطع ورد قبل ختام السورة ،وذلك في ثلاثة مواضع في كل من السور الآتية: (هود/١١٥)،(مريم /٦٥) ،(غافر/٧٧) ، أما النوع الثاني المتمثل بختام السورة،ف قد ورد في تسعة مواضع ،في كل من السور الآتية:(يونس/١٠٩)،(النحل/١٢٧)،(طه/١٣٠)،(الروم /٦٠)، (الأحقاف /٣٥)،(ق/٣٩)، (الطور /٤٨)،(القلم /٤٨)،(الإنسان/٢٤).

١٤-بيَّن البحث أن بلاغة القرآن المدهشة في الفصل والوصل تضع كلا في موضعه الأنسب بحسب المعنى الذي يريد السياق القرآني إبرازه، فإذا كان الهدف بيان ترتيب وتعقيب بعضه على بعض أو تفريع و تسبب بعضه عن بعض جيء بالفاء التي تظهر تعلق الآية بما قبلها تعلقا شديدا، وإذا كان الهدف الجمع المطلق بين معاني العبارات ، ولم يكن من أهداف الآية وسياقها بيان الترتيب والتعقيب بين المعاني وإنما بيان أمور أخرى والتركيز عليها، فيؤتى بالواو كي تبرز كون الآية ليس لها كبير تعلق بما قبلها مبني على الترتيب والتعقيب[١٧٣]،ويلاحظ هنا أنه جاء أسلوب الوصل بالواو(واصبر) التي تفيد العطف المطلق المجرد في تسعة مواضع ،في حين جاء أسلوب الوصل بالفاء(فاصبر) التي تفيد في أصلها الترتيب والتعقيب في أحد عشر موضعا ، في حين جاء الفصل في موضع واحد.

جدول تفصيلي للأساليب البلاغية الواردة في الآيات القرآنية المشتملة على (اصبر) و(اصطبر) في حق النبي صلى الله عليه وسلم حسب ترتيب النزول

١-﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾(المدثر/٧)	نهاية مقطع ورد في مطلع السورة+الوصل بالواو+نهاية مقطع مطلع السورة+تقديم(لربك)+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)
٢-﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ ﴾(المزمل/١٠)	نهاية مقطع ورد في مطلع السورة+الوصل بالواو+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+إيجاز قصر وجملة فعلية دالة على التجدد(يقولون)++الوصل بالواو+أمر حقيقي للمخاطب(اهجرهم)+توكيد لفظي بـ(هجرا)
٣-﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨ ﴾(القلم/٤٨)	حسن ختام للسورة +التفريع بالفاء+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+الوصل بالواو+نهي حقيقي(لا تكن)+تشبيه(كصاحب)+جملة اسمية حالية دالة على الثبات(وهو مكظوم)
٤-﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩ ﴾(ق/٣٩)	حسن ختام للسورة+التفريع بالفاء+امر حقيقي للمخاطب(اصبر)+إيجاز قصر وجملة فعلية دالة على التجدد(يقولون)+الوصل بالواو+أمر حقيقي للمخاطب(سبح)
٥-﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٧ ﴾(ص/١٧)	نهاية مقطع ورد في مطلع السورة+ فصل(اصبر) لوقوعه في جواب سؤال مقدر+إيجاز قصر وجملة فعلية دالة على التجدد(يقولون) +الوصل بالواو+أمر حقيق للمخاطب+جملة اسمية دالة على الثبوت(غنه أواب)

٦-﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾(يونس/١٠٩) .	حسن ختام للسورة+الوصل بالواو+أمر حقيقي للمخاطب(اتبع)+الوصل بالواو+تذييل بجملة اسمية دالة على الثبوت(وهو خير الحاكمين)
٨-﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥ ﴾(هود١١٥)/	نهاية مقطع ورد قبل ختام السورة+الوصل بالواو+أمر حقيقي للمخاطب+التفريع بالفاء+تذييل بجملة اسمية دالة على الثبوت(إن الله لا يضيع أجر المحسنين)
٩- ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾(مريم/٦٥)	نهاية مقطع ورد قبل ختام السورة+خبر ابتدائي+التفريع بالفاء+أمر حقيقي (عبد)+أمر حقيقي للمخاطب(اصطبر)+تكرير للعبادة للتوكيد +استفهام خرج للنفي
١٠-﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾(طه/١٣٠-١٣٢) .	حسن ختام للسورة+التفريع بالفاء+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+الوصلبالواو+أمرالمخاطب(سبح)+تكرير للتوكيد (فسبح)+الوصل بالواو+النهي الحقيقي (لا تمدنَّ)+الوصل بالواو+تكرار للتوكيد +أمر حقيقي للمخاطب(أأمر) و(اصطبر)+خبر ابتدائي+تذييل بجملة اسمية(العاقبة للتقوى)
١١- ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ ﴾(غافر/٥٥)	نهاية مقطع ورد في أواسط السورة+التفريع بالفاء+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+جملة اسمية دالة على الثبوت+الوصل بالواو+أمر حقيقي للمخاطب(استغفر) و(سبح)

١٢-قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧ ﴾(غافر/٧٧)	نهاية مقطع ورد قبل ختام السورة+التفريع بالفاء+تكرار للتوكيد أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+تكرار للتوكيد جملة اسمية دالة على الثبوت+خبر شَرطي طلبي مؤكد بنون التوكيد
١٣-﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾(الأحقاف/٣٥)	حسن ختام للسورة+التفريع بالفاء+(أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+تشبيه بالكاف+تكرير+الوصل بالواو+نهي حقيقي (لا تستعجل)+التشبيه ب(كأن)+القصر بـ(إلا)+استفهام خرج للنفي+قصر بـ(إلا)
١٤- ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ (الكهف/٢٨)	نهاية مقطع ورد في أواسط السورة+الوصل بالواو+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+الوصل بالواو+النهي الحقيقي(لا تعدُ)و(لا تطع)+أمر حقيقي للمخاطب(اتبع)
١٥-﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ	حسن ختام للسورة+الوصل بالواو+ تكرير+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+الوصل بالواو +القصربـ(إلا)+الوصل

عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾(النحل/١٢٧)	بالواو+النهي الحقيقي(لا تحزن) و(لا تكُ)
١٦-﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ ﴾(الطور/٤٨)	حسن ختام للسورة+الوصل بالواو+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+التفريع بالفاء+الوصل بالواو+أمر حقيقي(سبح)
١٧-﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ ﴾(المعارج/٥)	نهاية مقطع مطلع السورة+التفريع بالفاء+(أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+تكرير للتوكيد
١٨-﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾(الروم/٦٠)	حسن ختام السورة+حسن ختام للسورة+التفريع بالفاء+أمر حقيقي للمخاطب(اصبر)+جملة اسمية دالة على الثبوت+الوصل بالواو+نهي حقيقي للمخاطب(لا يستخفنَّك)
١٩-﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ ﴾(الإنسان/٢٤)	حسنختامالسورة+التفريع بالفاء+أمر للمخاطب(اصبر)+الوصل بالواو+النهي الحقيقي(لا تطع)+عطف خاص(كفورا) على عام(آثما)

المصادر والمراجع

أ- **الكتب**

١- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الخضري السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة : دار التراث – القاهرة ، (د.ط) و(د.ت) .

٢- إحياء علوم الدين،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.(د.ط)،١٤٠٢هـ.

٣- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي،، دار إحياء التراث العربي الإسلامي – بغداد ،ط١، ١٤٠٤هـ.

٤- الإعجاز الفني في القرآن،عمر السلامي،، منشورات : عبد الكريم عبد الله ، تونس ، ١٩٨٠م.

٥- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، دار اليمامة – دمشق – بيروت ، دار ابن كثير – دمشق – بيروت،ط٤ ، ١٤١٥ هـ.

٦- أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت: ١١٢٠ هـ) ، تحقيق : شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان ، ط١، ١٣٨٩هـ.

٧- الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الخطيب القزويني (ت: ٧٣٤هـ) ، شرح وتعليق وتنقيح : د. محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات : دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ط٣، ١٣٩١هـ .

٨- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)،تحقيق: عبد القادر أحمد عطا،دار الفضيلة- القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

٩- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت:٧٩٤هـ) ، خرج أحاديثه وقدّم له وعلق عليه : مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٨هـ .

١٠- البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١، ١٤٠٧هـ .

١١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس،(د.ط)، ١٤٠٤ هـ.

١٢- التصوير الفني في القرآن،سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق ،ط١٧ ،(د.ط)،(د.ت).

١٣- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت دار إحياء الكتب العربية – القاهرة،(د.ط)، ١٣٨٣ هـ.

١٤- تفسير الشعراوي/ خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم ، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)،مطابع أخبار اليوم،(د.ط)، ١٤١٧هـ.

١٥- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)،دار الفكر العربي – القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت: ٣١٠هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة ،ط١، ١٤٢٠ هـ .

١٧- الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)،تحقيق:بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٤١٨ هـ.

١٨- الحديث النبوي وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق – القاهرة ، ط١٤٢٠،٤هـ.

١٩- حروف المعاني والصفات، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، علي توفيق الحمد، تحقيق: علي توفيق الحمد،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،ط١، ١٤٠٤هـ .

٢٠- خزانة الأدب وغاية الأرب ، أبو بكر تقي الدين علي المعروف بابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧هـ) ، شرح : عصام شعيتو ، (ت: ٨٣٧هـ) ، شرح : عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٧هـ .

٢١- روح المعاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)،تحقيق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ..

٢٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط٤، ١٤٠٧ هـ.

٢٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٩٥٤.

٢٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية – بيروتط١، ١٤٢٣ هـ.

٢٥- في ظلال القرآن ،سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت- القاهرة،ط١٧، ١٤١٢ هـ

٢٦- قضايا الشعر المعاصر، د. نازك الملائكة، دار العلم للملايين- بيروت ،ط٥ ،١٣٩٨هـ.

٢٧- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة،الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ .

٢٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت،ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٢٩- الكليات/معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : د. عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة- القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ .

٣٠- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)،دار صادر – بيروت،ط٣ ، ١٤١٤ هـ.

٣١- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،فاضل صالح مهدي السامرائي،، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤٢٢ هـ.

٣٣- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني،دار ابن الجوزي،الدمام – المملكة العربية السعودية،ط١، ١٤٢٧ هـ .

٣٤- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د. فتحي أحمد عامر، منشأة المعارف في الإسكندرية، (د.ط) ، ١٣٩٦هـ.

٣٥- معاني الحروف،علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)،عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

٣٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن ،جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي(ت:٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية- بيروت ،ط١،١٤٠٨هـ .

٣٧- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشامي الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة ابن تيمية – القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

٣٨- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط٤، ١٤٢٠ هـ.

٣٩- المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)،تحقيق: صفوان عدنان الداودي،دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ .

٤٠- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،(د.ط)،(د.ت).

٤١- الممتع الكبير في التصريف، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور (ت: ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان،ط١، ١٩٩٦.

٤٢- من بلاغة القرآن،أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي نهضة مصر للطبع والنشر– القاهرة، (د.ط) و(د.ت) .

٤٣- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع،محمد بن أبي القاسم الأنصاري السجلماسي(ت: ٦٠٠هـ)، تقديم وتحقيق : علال الغازي، مكتبة المعارف– القاهرة، ط١٤٠٩،١هـ .

٤٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)،دار الكتاب الإسلامي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ط١، ١٩٦٩م

ب-الدوريات:

١- التكرار في الشعر الجاهلي (دراسة أسلوبية)، د. موسى ربابعة ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مجلد (٥) ، العدد (١) : ١٤١٠هـ .

٢- التكوين التكراري في شعر جميل بن معمر، فايز القرعان، مؤتة للبحوث والدراسات، مج١١، ع(٦)، ١٤١٦هـ.

٣- الشرط بـ(إنْ) و (إذا) في القرآن الكريم د. علي فودة، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الرابع، السنة الرابعة، ١٣٩٥هـ -١٣٩٦هـ .

هوامش البحث

(١) ينظر:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، أحمد عبد الغفور عطار:٧٠٦/٢-٧٠٧،المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)،تحقيق: صفوان عدنان الداودي:٤٧٤.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ):٤٧٨/١

(٣) إحياء علوم الدين،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ):١٣٩/١

(٤) التحرير والتنوير:٤٧٩/١

(٥) المصدر نفسه:٤٧٨/١.

(٦) التحرير والتنوير:٤٩/١٣

(٧)المصدر نفسه:٤٧٩/١

(٨) التصوير الفني في القرآن،سيد قطب: ١٤١

(٩) لسان العرب،، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، (كرر): ٢٤٠/٣

(١٠) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع،محمد بن أبي القاسم الأنصاري السجلماسي(ت ٦٠٠هـ) ، تقديم وتحقيق : علَّال الغازي:٤٧٦

(١١) البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس ، ٣٧٨/١-٣٧٩، وينظر: الإتقان، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الخضري السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : ١٩٨/٣-٢٠٢

(١٢) التكرار في الشعر الجاهلي (دراسة أسلوبية)، د. موسى ربابعة ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، مجلد (٥) ، العدد (١) : ١٩٩٠م :١٧٩

(١٣) التكوين التكراري في شعر جميل بن معمر، فايز القرعان، مؤتة للبحوث والدراسات، مج١١، ع(٦)، ١٩٩٦: ٨٠

(١٤) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د. فتحي أحمد عامر : ٤٤٤

(١٥) ينظر: الحديث النبوي وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي : ١٧٦

(١٦) قضايا الشعر المعاصر، د. نازك الملائكة: ٢٤٢

(١٧) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ):٤١٩/٢، وينظر:صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي:٢٠٣/١

(١٨)ينظر:(هود:١١٥)،(الكهف:٢٨٩)،(طه:١٣٠)،(طه:١٣٢)،(مريم:٦٥)،(ص:١٧)،(غافر:٥٥)،(ق:٣٩)،(الطور:٤٨)،(المزمل:١٠) ، (الإنسان:٢٤).

(١٩) ينظر: لسان العرب ،(نهي) :٣/ ٧٣٤

(٢٠) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب ، أبو بكر تقي الدين علي المعروف بابن حجة الحموي (ت: ٨٣٧هـ) ، شرح : عصام شعيتو : ٢/ ٤٩٣؛ أنوار الربيع في أنواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت: ١١٢٠ هـ) ، تحقيق : شاكر هادي شكر : ٦/ ٣٢٤

*ويلاحظ هنا أنه جاء أسلوب الوصل بالواو(واصبر) التي تفيد العطف المطلق المجرد في تسعة مواضع،في حين جاء أسلوب الوصل بالفاء(فاصبر) التي تفيد في أصلها الترتيب والتعقيب في أحد عشر موضعاً ، في حين جاء الفصل في موضع واحد ،و سيأتي بيان ذلك في الجدول نهاية البحث

([٢١]) ينظر:حروف المعاني والصفات ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)،تحقيق: علي توفيق الحمد: ٣٦،٣٩ ،البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان،محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥هـ)،تحقيق: عبد القادر أحمد عطا،١٩٦، ملاك التأويل: ١٢٨/١

([٢٢]) ينظر: الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون:٤٣٤/٤

([٢٣]) ينظر: الكتاب: ٤٨١/٤

([٢٤]) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٥/٤

([٢٥]) ينظر: المصدر نفسه:٤٣٣/٤

([٢٦]) معاني الحروف،علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)،عبد الفتاح إسماعيل الشلبي:٦٤

([٢٧])ينظر: الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : د. عدنان درويش : ٣٤١

([٢٨])ينظر: الصحاح ،(ألله)،٢٢٢٣/٦،(ربب):١٣٠/١

([٢٩]) التحرير والتنوير :٣١٠/١١

([٣٠])المصدر نفسه:٣١٠/١١

([٣١]) الإعجاز الفني في القرآن،عمر السلامي: ١٨٦

([٣٢]) في ظلال القرآن،سيد قطب :٢٢٠٢/٤

([٣٣]) التحرير والتنوير :٣٣٥/١٤

([٣٤]) المصدر نفسه :٣٣٥/١٤ ،وينظر :المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني:٦٥٢/٢-٦٥٣

([٣٥]) ينظر:جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر:٣٢٣/١٧، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ):٦٤٤/٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،٤٣١/٣-٤٣٢،مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ):٢٨٨/٢٠-٢٨٩

([٣٦]) ينظر: : الجامع الكبير – سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)،تحقيق:بشار عواد معروف،باب ومن سورة النحل،رقم الحديث(٣٢٩):١٥٠/٥،المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشامي (المتوفى: ٣٦٠هـ)،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، رقم الحديث(٢٩٣٧):١٤٣/٣

([٣٧]) التحرير والتنوير :٣٣٥/١٤

([٣٨]) المصدر نفسه :٣٣٦/١٤

([٣٩]) ينظر: البرهان، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت:٧٩٤هـ) ، خرج أحاديثه وقدّم له وعلق عليه : مصطفى عبد القادر : ٣٧٤/٢؛ الشرط بـ(إنْ) و (إذا) في القرآن الكريم د. علي فودة، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الرابع، السنة الرابعة، ١٩٧٥-١٩٧٦: ٦٠

([٤٠]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ):٢٨٢/١١

([٤١]) روح المعاني ،شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)،تحقيق: علي عبد الباري عطية:٤٩١/٧

([٤٢]) روح المعاني ،٤٧١/٧، وينظر :مفاتيح الغيب:٢٨٩/٢٠

([٤٣]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٣٢/٣

([٤٤]) نظم الدرر:٢٨٢/١١

([٤٥]) التحرير والتنوير :٣٣٧/١٤

([٤٦])المصدر نفسه:٣٣٦/١٤

([٤٧]) نظم الدرر:٢٨٤/١١

([٤٨]) ينظر: التحرير والتنوير :٣٠٤/١٥

([٤٩]) في ظلال القرآن :٢٢٦٨/٤

([٥٠])جامع البيان في تأويل القرآن:٧/١٨

([٥١]) التفسير الحديث،دروزة محمد عزت:٦٦/٥

([٥٢]) جامع البيان :٦/١٨

([٥٣]) التحرير والتنوير :٣٠٤/١٥

([٥٤])ينظر: الكليات: ٣٤١

([٥٥]) التحرير والتنوير :٣٠٥/١٥

([٥٦]) المصدر نفسه:٣٠٥/١٥

([٥٧])إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش:٥٨٠/٥

([٥٨]) مفاتيح الغيب:٤٥٦/٢١

([٥٩]) التحرير والتنوير :٣٠٥/١٥

([٦٠]) مفاتيح الغيب:٤٥٦/٢١

([٦١]) التحرير والتنوير :٣٠٦/١٥

([٦٢]) في ظلال القرآن:٢٢٦٨/٤

([٦٣]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٥١/١١

([٦٤]) ينظر: الكليات: ٣٤١

([٦٥]) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي: ١٣٢

([٦٦]) ينظر:الممتع الكبير في التصريف، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور (المتوفى: ٦٦٩هـ):١٣١

([٦٧])التحرير والتنوير:٣٣٧/١٦

([٦٨]) تفسير الشعراوي،محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ):٩٤٥٢/١٥

([٦٩])التحرير والتنوير:٣٣٨/١٦

([٧٠]) في ظلال القرآن:٢٣٥٧/٤

([٧١]) نظم الدرر :١٣٨/١٥

([٧٢]) التفسير الحديث:٤٦٤/٥

([٧٣]) التفسير الحديث:٤٦٤/٥

(٧٤) التحرير والتنوير:١٣٥/٢١

(٧٥) تفسير الشعراوي:١١٥٥٩/١٩

(٧٦) ينظر: الكتاب :٤/ ٤٣٣.

(٧٧) المصدر نفسه: ٤٣٤/٤ .

(٧٨) في ظلال القرآن:٢٢٧٨/٥

(٧٩) مفاتيح الغيب:٢١٣/٢٥

(٨٠) تفسير الشعراوي:١١٥٦١/١٩

(٨١) التحرير والتنوير:١٣٥/٢١

(٨٢)المصدر نفسه:١٣٥/٢١

(٨٣)تفسير الشعراوي:١١٥٥٧/١٩

(٨٤)التحرير والتنوير :٢٢٦/٢٣

(٨٥) في ظلال القرآن:٣٠١٦/٥

(٨٦)التحرير والتنوير :٢٢٥/٢٣

(٨٧) ينظر:مفاتيح الغيب:٣٧٣/٢٦،ملاك التأويل :٤٢٠/١-٤٢١

(٨٨) ملاك التأويل :٤٢٠/٢

(٨٩) المصدر نفسه :٤٢٠/٢

([٩٠])التحرير والتنوير :١٥٥/٢٢

([٩١]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٣٤٩/١٦

([٩٢]) المصدر نفسه:٣٤٩/١٦

([٩٣]) التحرير والتنوير:٢٢٧/٢٣

([٩٤]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٢٤٩/١٦

([٩٥]) التحرير والتنوير:٢٢٧/٢٣

([٩٦]) في ظلال القرآن:٣٠١/٧

([٩٧]) في ظلال القرآن:،٣٠١/٧

([٩٨]) التحرير والتنوير:٢٠٨/٢٤

([٩٩])المصدر نفسه:٢٠٨/٢٤

([١٠٠]) في ظلال القرآن:٣٠٩٨/٥

([١٠١]) التحرير والتنوير:١٧٠/٢٤

([١٠٢])المصدر نفسه:٢٠٨/٢٤

([١٠٣]) مفاتيح الغيب :٥٣٣/٢٧

([١٠٤]) التحرير والتنوير:٢٠٩/٢٤

([١٠٥]) التحرير والتنوير:٦٦/٢٦

([١٠٦]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٩٠/١٨

([١٠٧]) في ظلال القرآن:٣٢٧٥/٦

([١٠٨])التفسير القرآني للقرآن،عبد الكريم يونس الخطيب (ت: ١٣٩٠هـ):٣٠٣/١٣

([١٠٩]) المصدر نفسه:٣٠٢/١٣

([١١٠])التحرير والتنوير :٣٠٢/١٣

([١١١]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٩٠/١٨

([١١٢])التحرير والتنوير:٦٧/٢٦

([١١٣])نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٩١/١٨

([١١٤]) التحرير والتنوير:٦٧/٢٦

([١١٥]) المصدر نفسه:٦٨/٢٦

([١١٦]) المصدر نفسه :٦٨/٢٦

([١١٧])المصدر نفسه:٦٩/٢٦

([١١٨])في ظلال القرآن:٦٣٢٧٥

([١١٩]) التحرير والتنوير:٨٣/٢٧

([١٢٠]) مفاتيح الغيب :٢٢٨/٢٨

([١٢١]) التحرير والتنوير :٨٣/٢٧

([١٢٢]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،فاضل صالح مهدي السامرائي:٣٤٨

([١٢٣])التحرير والتنوير:٨٣/٢٧

([١٢٤]) المصدر نفسه:٤٠٣/٢٩

([١٢٥]) مفاتيح الغيب:٢٢٩/٢٨

([١٢٦])التحرير والتنوير:٨٤/٢٧

([١٢٧])في ظلال القرآن:٣٤٠٢/٦

([١٢٨])التحرير والتنوير:٨٤/٢٧

([١٢٩]) مفاتيح الغيب:٢٢٨،٢٢٩

([١٣٠]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٣٨/١٩

([١٣١])التحرير والتنوير:٨٤/٢٧

([١٣٢]) مفاتيح الغيب:٢٢٩/٢٨

([١٣٣]) المصدر نفسه:٢٢٩/٢٨

([١٣٤]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٣٨/١٩

([١٣٥]) مفاتيح الغيب:٢٧/ ٥٢٥

([١٣٦])التحرير والتنوير:٢٠٤/٢٩

([١٣٧])في ظلال القرآن:٣٦٧٠/٦

([١٣٨])التحرير والتنوير:١٠٤/٢٩

([١٣٩])المصدر نفسه:١٠٥/٢٩

([١٤٠])المصدر نفسه:١٠٥/٢٩

([١٤١])نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٣٣٢/٢٠

([١٤٢]) التحرير والتنوير:١٠٥/٢٩

([١٤٣]) قي ظلال القرآن:٣٧٤١/٦!

([١٤٤])التحرير والتنوير :٢٦٨/٢٩

([١٤٥]) في ظلال القرآن:٣٧٤٧/٦

([١٤٦])المصدر نفسه:٣٧٤٧/٦

([١٤٧])التحرير والتنوير :٢٦٨/٢٩

([١٤٨])نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٨/٢١

([١٤٩])المصدر نفسه:١٨/٢١

([١٥٠]) التحرير والتنوير :٢٦٨/٢٩

([١٥١]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٨/٢١

([١٥٢]) من بلاغة القرآن،أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي:١٨٨

([١٥٣])الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ،يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ):١٤/٣

([١٥٤]) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الخطيب القزويني (ت: ٧٣٤هـ) ، شرح وتعليق وتنقيح : د. محمد عبد المنعم خفاجي، ٥٩١؛ الإتقان ، ٣/ ٣١٨؛ معترك الأقران ،جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي(ت٩١١هـ):٥٨/١ وما بعده.

([١٥٥])التحرير والتنوير:٣٠٠/٢٩

([١٥٦]) مفاتيح الغيب:٧٠٢/٣٠

([١٥٧])التحرير والتنوير :٧٠٢/٣٠

([١٥٨]) في ظلال القرآن:٦/ ٣٧٥٥

([١٥٩]) التحرير والتنوير:٣٠٠/٢٩

([١٦٠]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٥/٢١

([١٦١])التحرير والتنوير:٣٠٠/٢٩

([١٦٢]) في ظلال القرآن :٣٧٥٥/٦

([١٦٣]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١٥٢/٢١-١٥٣

([١٦٤]) مفاتيح الغيب:٧٥٨/٣٠

([١٦٥]) التحرير والتنوير :٤٠٣/٢٩

([١٦٦]) مفاتيح الغيب:٣٠/٧٥٨

([١٦٧])التحرير والتنوير :٢٩/٤٠٤

([١٦٨]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٢١/١٥٤

([١٦٩]) مفاتيح الغيب:٣٠/٧٥٩

([١٧٠]) التحرير والتنوير:٢٩/٤٠٤

([١٧١]) في ظلال القرآن:٦/٣٧٨٥

([١٧٢]) المصدر نفسه:٦/٣٧٨٥